

أرض خصبة لزراعة الاستقرار:
مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

تقرير الشرق الأوسط رقم 84 – 19 شباط/فبراير 2009

جدول المحتويات

i	المُلخَص التَّنفيذِي والتوصيات
1	I. مَقْدَمَة: الوجود الفلسطيني في لبنان
1	أ. تعدد اللاعبين والمخيمات
1	1. اللاعبون السياسيون الرئيسيون
1	2. اللاجئون الفلسطينيون ومخيماتهم
3	II. تطور العلاقات اللبنانية-الفلسطينية
3	أ. حرب معلنة (1969-1990)
5	ب. سنوات ما بعد الحرب (1990-2004)
6	ج. 2004-2005: نقطة تحول أم طريق مسدود؟
6	1. قرار مجلس الأمن رقم 1559
8	2. لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني
10	3. نهر البارد: الاختبار الصعب
11	د. وضع اللاجئين الهش
11	1. الخوف من التوطين
14	2. التهميش
16	III. تزايد الاضطراب في المخيمات
16	أ. الصراع بين الفصائل
18	ب. منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح
20	ج. سوء إدارة المخيمات
20	1. اللجان الشعبية
20	2. الأونروا
21	IV. التيار الجهادي
26	V. خاتمة: حرب غزة والمخيمات ومستقبل لبنان
	الملاحق
29	أ. خارطة المخيمات الفلسطينية في لبنان
30	ب. الفصائل الفلسطينية الرئيسية في لبنان
31	ج. اتفاق القاهرة

أرض خصبة لزراعة الإستقرار: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

الملخص التنفيذي والتوصيات

فأصبح الوجود الفلسطيني وسيلة لتعبئة قواعدها الشعبية. واتخذت الحكومات المتعاقبة تدابيراً بهدف التصدي للتوطين من خلال الإبقاء على الوضع المزري والهش للاجئين. وعليه، حُرّم سكان المخيمات من أبسط الخدمات العامة، وفُرضت على الفلسطينيين قيود في مجال العمل، كما حُرّموا مؤخراً من حق التملك.

تنطوي الجهود الرامية إلى إبعاد خطر اللاجئين ومنعهم من الاندماج الاجتماعي أو الاقتصادي على مضامين خطيرة. ولأن هذا الوجود اعتبر مؤقتاً ومبرراً باستمرار الصراع مع إسرائيل، أعطي الفلسطينيون درجة كبيرة من الاستقلال السياسي إذ بقي مفهوم الكفاح المسلح مقدساً ويستعمل كتبرير لوجود عدد من الجماعات المسلحة. إلا أن حق مقاومة الفلسطينية في لبنان فقد مبرراته تدريجياً في أعقاب الحرب الأهلية: يستطيع الفلسطينيون حمل السلاح ولكن ضمن المخيمات فقط إضافة إلى بعض القواعد العسكرية. وعليه، أصبحت المخيمات مناطق تقلت أمني لا تدخلها السلطات اللبنانية، ولم تعد الأسلحة موجهة ضد إسرائيل – المبرر الأصلي لوجودها – بل تحولت إلى الداخل. وكانت النتيجة الخطيرة: مخيمات تؤوي سكاناً مهمشين وفقراء، قدر كبير من الأسلحة، وقيادة لم تعد قادرة على مقاتلة إسرائيل، تائهة ودون رؤى واضحة.

إلا أن الوضع ازداد تعقيداً إذ أصبحت المخيمات الفلسطينية أداة جديدة في التجاذبات والنزاعات الإقليمية، فشكل تغيير الوضع القائم في المخيمات بالنسبة للغرب وحلفائه اللبنانيين في السلطة أحد الوسائل لتعزيز سيادة لبنان وتفعيل قضية نزع سلاح 'كل' الجماعات بما فيها حزب الله. كما يتجلى النزاع الفلسطيني الداخلي بين حركتي فتح وحماس في المخيمات. أما سوريا، فتمسك بورقة الفصائل المسلحة خارج المخيمات تستخدمها في محادثات مرتقبة مع إسرائيل أو للضغط على خصومها في السياسة الداخلية اللبنانية. وأخيراً، يوحى انتشار الجماعات الإسلامية المتطرفة داخل المخيمات بأن هذه الأخيرة تتحول إلى أرض خصبة للتجنيد بالنسبة للحركات الجهادية العالمية.

وعلى الرغم من خطورة التحدي، لم ترتق إدارة جميع المعنيين للأزمة إلى المستوى المطلوب. وبسبب تشرذم الحركة الوطنية الفلسطينية وفقدانها مصداقيتها، لم يفتقر اللاجئون إلى قيادة شرعية ومعترف بها قادرة فعلياً على مساعدتهم أو تقديم رؤية للمستقبل بقدر ما هي الحال اليوم. وحتى وقت قريب، ركزت الدولة اللبنانية كل جهودها على الجانب الأمني وعلى احتواء الإضراب الناتج

يعاني اللاجئون الفلسطينيون نسياناً وتجاهلاً مستمرين في معظم أنحاء الشرق الأوسط. ما عدا لبنان. فخلافاً للدول المضيفة الأخرى، يبقى ملف اللاجئين في صلب السياسة والسجلات اللبنانية ومصدراً لأعمال عنف متكررة. كان الوجود الفلسطيني دافعاً في اندلاع الحرب الأهلية بين 1975 و1990، والإجتياح الإسرائيلي في عام 1982 والجهود السورية الرامية إلى إخضاع منظمة التحرير الفلسطينية. ومنذ ذلك الحين، لم يُصر إلى معالجة جدية لهذه المشكلة فأبقى اللاجئون مهمشين ومحرومين من أبسط حقوقهم السياسية والاقتصادية، محاصرين في المخيمات في غياب أي أفق لمستقبل أفضل، مسلحين، وعلى التماس مع مختلف الصراعات اللبنانية-اللبنانية والفلسطينية-الفلسطينية والعربية-العربية، وعليه، تضافت كل هذه العوامل لتجعل من المخيمات قبلة موقوتة. و بانتظار حل النزاع العربي-الإسرائيلي، أصبحت الحاجة ملحة لمقاربة شاملة للوجود الفلسطيني من أجل توضيح وضعهم القانوني فيستثنى توطينهم في لبنان بشكل رسمي، ويُصار إلى تحسين جدي لظروف عيشهم، وتفعيل التنسيق بين اللبنانيين والفلسطينيين وبين الفلسطينيين أنفسهم من أجل إدارة أفضل للمخيمات.

اتسم تاريخ الفلسطينيين في لبنان باضطراب دائم، إلى حد المأساوية في بعض الأحيان. وتتحمل جميع الأطراف مسؤولية هذا الوضع. فالوجود الفلسطيني الذي كان مسالماً في بادئ الأمر سرعان ما تحول إلى وجود عسكري مع تبني منظمة التحرير الفلسطينية مبدأ الكفاح المسلح ضد إسرائيل في أواخر الستينات من القرن الماضي ثم انتقال قيادتها من الأردن إلى لبنان في عام 1970. وشارك الفلسطينيون بشكل مباشر في الحرب الأهلية التي مزقت لبنان لقرابة عقدين. أما الاجتياح الإسرائيلي بهدف القضاء على منظمة التحرير، فتسبب بتدمير هائل وبمجزرة صبرا وشاتيلا البشعة التي ارتكبتها ميليشيا لبنانية تحت مرأى الجيش الإسرائيلي. كما شنت سوريا حملات عسكرية ضد ياسر عرفات ومناصريه من أجل فرض هيمنتها على لبنان وسيطرتها على الحركة الوطنية الفلسطينية. بورها تميزت الدولة اللبنانية بأداء مخز ضد اللاجئين.

واليوم، ترتبط مسألة اللاجئين بالتقسيمات الطائفية في لبنان ارتباطاً وثيقاً حيث تنتمي أغلبية الفلسطينيين العظمى إلى المذهب السني. ومع تضائل احتمال أي عودة حقيقية للاجئين – معظمهم لم يظأ وظنهم السابق – إلى إسرائيل، عادت لتبرز المخاوف من إمكانية بقائهم الدائم أو توطينهم في لبنان لما سيكون لذلك من تأثير على التوازن الطائفي. لعبت القيادات المسيحية في لبنان على هذه الخشية

4. ضمان حسن سلوك القوى الأمنية في تعاملها مع المخيمات من خلال تحديد واضح وعلني للقواعد السلوكية الواجب اتباعها ومعاقبة جديبة لأي إخلال بهذه القواعد، إضافة إلى تخفيف القيود المفروضة على دخول مخيم نهر البارد من قبل الأطفال والمسنين وأقارب سكان المخيم.
5. إشراك الفصائل الفلسطينية ولاجئي نهر البارد في اتخاذ القرارات المتعلقة بمستقبل المخيم من خلال عقد اجتماعات دورية مع سكان المخيم السابقين واستشارة المنظمات التي كانت تدير المخيم قبل تدميره.

إلى الفصائل الفلسطينية:

6. تأسيس قيادة سياسية موحدة، وفقاً للاتفاق السابق، تتولى التنسيق بين الفصائل في المخيمات.
7. إصلاح منظمة الكفاح المسلح المسؤولة حالياً عن حفظ الأمن والنظام داخل المخيمات من خلال:
 - أ. توسيع تمثيلها لتشمل جميع الفصائل واتباعها مبدأ التوافق في اتخاذ القرارات بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس مثلاً؛
 - ب. الاتفاق على اعتماد الكفاح المسلح المنظمة الفلسطينية الوحيدة المسؤولة عن أمن المخيمات وتفكيك أي تركيبة أمنية أخرى؛
 - ج. التنسيق مع قوى الأمن اللبنانية خاصة في الحالات التي تعجز المنظمة الفلسطينية عن معالجتها.
8. تحسين الوضع الأمني داخل المخيمات عبر حظر المظاهر المسلحة مثلاً ومنع ومعاقبة كل أعمال العنف.
9. تفعيل اللجان الشعبية (وهي منظمات شبه رسمية تقوم بوظائف بلدية) في المخيمات عبر الدمج الفوري للجان في حال تعددها، وزيادة مساهمات الفصائل المالية، وتفعيل قدرات أعضائها بتأمين تدريبات فنية وتقنية، بالتنسيق مع المنظمات غير الحكومية.
10. تشكيل لجنة مشتركة من الخبراء الفنيين تكون النظر الفلسطيني للجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، وتنسق معها.

إلى الأونروا:

11. عقد اجتماعات دورية مع سكان المخيمات لإطلاعهم على المشاريع القائمة والجديدة وعلى التغييرات الناتجة عن عملية الإصلاح داخل الأونروا.
12. تأسيس هيئة رقابة مالية مستقلة تشرف على صرف أموال الوكالة وتوضّح هذا الاستخدام أمام اللاجئين والمهاجرين والمجتمع الدولي.
13. إصلاح النظام التعليمي داخل مدارس الوكالة عبر تحسين البرامج والتدريب الخاصة بالأساتذة والتعاون مع المنظمات غير الحكومية المهتمة بالشأن التعليمي.

عن الوجود الفلسطيني وسياساتها الخاطئة. كما أن المجتمع الدولي لم يقدم العون في هذا الخصوص، إذ أدى تركيزه شبه الكامل على مسألة نزع السلاح إلى انقسام الأطراف المعنية دون المساعدة بأي شكل على حلها. وفي الوقت نفسه، حقّض دعمه لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، وهي الهيئة المسؤولة عن تقديم الخدمات الصحية والتعليمية الأساسية للاجئين إضافة إلى مساعدات إجتماعية وإغاثية أخرى.

لم يؤت قصر النظر هذا بنتائج إيجابية لا على لبنان ولا على عملية السلام العربية-الإسرائيلية. فكما يعرف المفاوضون الإسرائيليون والفلسطينيون جيداً، يشكل اللاجئون في لبنان إحدى أكثر المشكلات قلقاً: فلا اللبنانيون يريدون إندماجهم في بلدهم، ولا إسرائيل ستسمح بعودتهم، وهم مسلحون ومهمشون اجتماعياً ومجردون من حقوقهم الاقتصادية، ما يسهل تعبتهم من قبل المعادين لأي تسوية سلمية.

في عام 2005 إثر انسحاب الجيش السوري من لبنان، بدأ بعض المسؤولين اللبنانيين مناقشة طال انتظارها لهذه القضايا. إلا أن الأزمة اللبنانية الداخلية سرعان ما أدت إلى تجميد هذه النقاشات. واليوم، وبعد توقيع اتفاق الدوحة بين الأقطاب اللبنانية وتشكيل حكومة وحدة وطنية وانتخاب رئيس جديد، أصبح الجو مهيأ من جديد لحوار جاد يهدف لإدارة أفضل للمشكلة الفلسطينية. إن التكرار المقلق للعنف المرتبط بالمخيمات، وبدرجة أهم، تلك الأسابيع من المواجهات الدامية بين أيار/مايو وأيلول/سبتمبر 2007 بين الجيش اللبناني وفتح الإسلام (وهي جماعة جهادية اتخذت من مخيم نهر البارد مقراً لها)، يجب أن يكون سبباً كافياً للتحرك العاجل.

التوصيات

إلى البرلمان والحكومة اللبنانية:

1. اعتماد قانون يحدد بشكل واضح مفهوم التوطين بحيث:
 - أ. يقتصر التوطين على اكتساب الجنسية اللبنانية و/أو حق الانتخاب؛
 - ب. يُمنح اللاجئون الفلسطينيون جميع الحقوق باستثناء التوطين، بما في ذلك حق العمل والتملك.

إلى الرئيسين اللبناني والسوري:

2. الشروع في مفاوضات تهدف إلى تفكيك القواعد العسكرية الفلسطينية خارج المخيمات.

إلى الحكومة اللبنانية:

3. إعادة تفعيل لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني من خلال:
 - أ. زيادة مواردها المالية والبشرية؛
 - ب. تكليفها إعداد تقارير ضمن مهلة محددة حول تحسين أوضاع اللاجئين المعيشية وتنظيم الأسلحة داخل المخيمات، والتعامل مع الأسلحة خارج المخيمات.

إلى المانحين الدوليين والعرب:

14. زيادة مساهماتهم إلى الأونروا بشكل كبير.
15. التشاور الوثيق مع الأونروا والمنظمات غير الحكومية الدولية والمحلية من أجل ضمان توجيه الأموال إلى الاحتياجات ذات الأولوية.

إلى الحكومات العربية:

16. مساعدة لبنان في التعامل مع لاجئيه من خلال منح الأموال التي تعهدت بها لإعادة إعمار نهر البارد، ودفع الفصائل الفلسطينية للموافقة على الإصلاحات الواردة أعلاه.

بيروت/بروكسل، 19 شباط/فبراير 2009

أرض خصبة لزعة الاستقرار: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

المؤسسات اللبنانية أو مع فتح مثل جند الشام وعصبة النور وجماعات أخرى.

I. مقدّمة: الوجود الفلسطيني في لبنان

أ. تعدد اللاعبين والمخيمات

2. اللاجئين الفلسطينيون ومخيماتهم

يثير عدد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان الكثير من الجدل. ففي حين تقدّر الأونروا عدد اللاجئين بين 350,000 و400,000³، يقيم أكثر من نصفهم في الإثني عشر مخيماً التي تديرها،⁴ يشكك مراقبون كثيرون بهذا الرقم على أنه مضخم لا يأخذ في الاعتبار موجات الهجرة الفلسطينية خلال سنوات الحرب الأهلية وبعدها. ويتراوح عدد اللاجئين بحسب هذه التقديرات بين 200,000 و250,000⁵.

1. اللاعبون السياسيون الرئيسيون¹

يضم المشهد السياسي الفلسطيني في لبنان لاعبين يمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

□ أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية والتي تأسست عام 1964 واعترفت بها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1974 كـ "الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني". وتضم حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين إضافة إلى بعض الفصائل الأخرى.² مع توقيع إتفاق أوسلو في عام 1993، اعترفت منظمة التحرير بإسرائيل فتخلت رسمياً عن الكفاح المسلح وبدأت عملية التفاوض مع الدولة الإسرائيلية بهدف الوصول إلى اتفاق نهائي.

□ تحالف القوى الفلسطينية المعروف باسم 'التحالف'، وتأسس في عام 1993 معارضة لاتفاق أوسلو. يرفض أعضاؤه الاعتراف بإسرائيل ويؤيدون استمرار الكفاح المسلح. يضم التحالف اليوم ثمانية فصائل غالباً ما تتمتع بعلاقات جيدة مع سوريا وهي: حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة وفتح الإنتفاضة والصاعقة وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي الفلسطيني-الثوري.

□ القوى الإسلامية ذات التوجه الجهادي، وتضم مجموعة من الحركات المتباينة تتقاسم في ما بينها استخدام العنف، أكثر منها جماعة منظمة أو موحدة ومرتبطة. وتضم عصبة الأنصار وحزب التحرير الإسلامي والحركة الإسلامية المجاهدة وأنصار الله. ورغم التوجهات المتشددة لهذه الجماعات إلا أنها تتعامل مع الدولة اللبنانية ومع حركة فتح العلمانية، بعكس جماعات أخرى أكثر تطرفاً ترفض أي تعامل مع

³ إن أرقام الأونروا مبنية على عدد الفلسطينيين المسجلين لدى الوكالة، إذ لا تبين هذه البيانات عدد المهاجرين إذ لا يتم شطب اللاجئ الذي يغادر لبنان أو أي بلد آخر من قوائم الأونروا. مقابلة لمجموعة الأزمات، مسؤول في الأونروا، 5 كانون الأول/ديسمبر 2008. وفي عام 1998 ورد في تقرير صادر عن المفوض العام للوكالة "إن الأرقام المسجلة لدى الأونروا تستند إلى المعلومات المقدمة طوعاً من قبل اللاجئين بهدف الحصول على الخدمات التي تقدمها الأونروا. وعليه، لا يمكن اعتبار هذه الأرقام بمثابة إحصاءات سكانية دقيقة". تقرير الأونروا، 28 تشرين الأول/أكتوبر 1998، متوفر على الموقع <http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/ec8db69f77e7a33e052567270057e591/b31ebc6196d144cb052566b1007bff25?openDocument>.

⁴ أنظر الموقع www.un.org/unrwa/refugees/lebanon.html وبحسب المدير السابق للأونروا في لبنان، يعيش في مخيمات الأونروا نحو 18 في المئة من اللاجئين في الأردن وترتفع هذه النسبة إلى 26 في المئة في سوريا. أما باقي اللاجئين في لبنان، فيعيش معظمهم في المدن والقري التي تحيط بالمخيمات، إضافة إلى بعض التجمعات غير الرسمية التي تكونت في أعقاب موجات التهجير الداخلي بسبب النزاعات. محاضرة ألقاها ريتشارد كوك "المخيمات واللاجئون الفلسطينيون في لبنان: الأولويات والتحديات والفرص المستقبلية"، الجامعة الأمريكية في بيروت، 21 أيار/مايو 2008.

⁵ لقد تردد هذا الرقم على لسان كثير من الفلسطينيين الذين قابلتهم مجموعة الأزمات إضافة إلى عدد من المحللين كجون بيدرسون "توقعات سكانية للاجئين الفلسطينيين 2000-2020"، في تقرير للوري بلوم جاكوبسون (محرر) "إيجاد الوسائل، الأزمة المالية في الأونروا والظروف المعيشية للاجئين: الوضع الاجتماعي والاقتصادي للاجئين الفلسطينيين في الأردن ولبنان وسوريا والضفة الغربية وقطاع غزة"، تقرير فافو 427، المجلد I (2003)، متوفر على www.fao.no/pub/rapp/427/427-vol1.pdf، و آر نادسون "القانون والخسارة وحياة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان"، ورقة عمل لمعهد سي إيتش آر. ميشيلسون، 2007، على الموقع www.cmi.no/publications.

¹ المزيد من التفاصيل حول أهم الفصائل الفلسطينية، أنظر الملحق ب أدناه.
² لكن هذا لا ينفي وجود اختلاف حاد أحياناً بين هذه الفصائل. وعندما ينسب هذا التقرير بعض المواقف إلى منظمة التحرير الفلسطينية فهو يشير إلى الموقف الرسمي للمنظمة والذي غالباً ما لا يكون مطابقاً لمواقف أعضائها جميعاً.

□ مار إلياس، هو مخيم صغير نسبياً يقع شمال غرب بيروت تأسس عام 1952. في البدء، كان معظم سكانه من المسيحيين،¹² إلى حين تدفق موجات من المسلمين إليه في أعقاب الحرب الأهلية عام 1975.

تقع في جنوب لبنان ستة مخيمات تتمتع فيها حركة فتح بنفوذ قوي ومهيمن في بعض منها:

□ عين الحلوة، هو أكثر المخيمات اللبنانية سكاناً، أسسه الهلال الأحمر في صيدا عام 1949. وبحسب المصادر الرسمية يعيش فيه نحو 46,000 لاجئ¹³ إلا أن السكان المحليين والمسؤولين الفلسطينيين يقدرون عدد قاطنيه بـ 70,000 نسمة.¹⁴ يشكل مخيم عين الحلوة صورة مصغرة عن الفضاء السياسي الفلسطيني حيث يضم جميع فصائل منظمة التحرير الفلسطينية والتحالف والقوى الجهادية التي تتنافس بشكل دائم على النفوذ والسلطة ما يكلف المخيم صدامات ونزاعات متكررة.¹⁵

□ مية ومية، يقع شرق صيدا وفيه أقل من 5000 نسمة.¹⁶
□ برج الشمالي، يقع شرق صور ويخضع لسيطرة فتح. ويؤوي نحو 19,000 فلسطينياً.¹⁷

□ الراشدية يقع على بعد سبعة كيلومترات جنوبي صور وفيه نحو 29,000 لاجئ. ويضم جزءاً قديماً تأسس سنة 1936 في ظل الانتداب الفرنسي لاستضافة اللاجئين الأرمن في ذلك الحين. أما القسم الآخر، فهو حديث بنته الأونروا عام 1963.¹⁸

□ الباص، مجاور لمدينة صور أسسته فرنسا أيضاً في عام 1936. وقد انتقل اللاجئون الفلسطينيون إليه سنة 1948. تقدّر الأونروا عدد سكانه بنحو 9,000.¹⁹

¹² كان لهؤلاء اللاجئين جذور في حيفا وبافا. أنظر جيهان صغير-خياط، المرجع المذكور سابقاً. ولجميع الفصائل مكاتب في المخيم تقدم الخدمات الاجتماعية في المخيم في جو متناغم نسبياً. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على افتقار هذا المخيم إلى الأهمية الإستراتيجية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، ناشطون في منظمات غير حكومية فلسطينية، بيروت ومخيم مار إلياس، نيسان/إبريل-تشرين الأول/أكتوبر 2008.

¹³ أنظر سماء أبو شرار، المرجع المذكور سابقاً.
¹⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، منير المقدم، قائد منظمة الكفاح المسلح - وهي المنظمة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية والمسؤولة عن حفظ الأمن والنظام في المخيمات - في لبنان وزعيم حركة فتح في صيدا سابقاً، بيروت، 4 أيار/مايو 2008؛ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أحد سكان مخيم عين الحلوة، 29 آذار/مارس 2008.

¹⁵ لدراسة معمقة حول مخيم عين الحلوة، أنظر برنارد روجيه، "الجهاد اليومي" (باريس، 2004).

¹⁶ أنظر www.un.org/unrwa/arabic/refugees/lebanon/UN_MiehMieh.htm.

¹⁷ أنظر سماء أبو شرار، المرجع المذكور سابقاً.

¹⁸ المرجع نفسه.

¹⁹ أنظر www.un.org/unrwa/arabic/refugees/lebanon.html.
تسيطر فتح إلى حد كبير على هذا المخيم أيضاً. مقابلة أجرتها مجموعة

وتتوزع مخيمات اللاجئين في كل المناطق اللبنانية. تقع أربعة منها في العاصمة بيروت وضواحيها هي:

□ برج البراجنة، الواقع في الضاحية الجنوبية لبيروت. تم تأسيسه من قبل الصليب الأحمر في عام 1948، ويؤوي نحو 16,000 لاجئاً.⁶

□ شاتيلا، يقع غرب بيروت، أسسته اللجنة الدولية للصليب الأحمر في 1949.⁷ وقد دُمّر جزء من المخيم بعد الإجتياح الإسرائيلي⁸ سنة 1982 وحرب المخيمات⁹ الدامية بين 1985-1987. ويؤوي اليوم أكثر من 8,000 لاجئ فلسطيني.¹⁰

□ ضبية، تأسس عام 1956 في الضاحية الشرقية لبيروت، ويبلغ عدد سكانه نحو 4000 غالبيتهم العظمى من المسيحيين.¹¹ وخلافاً للمخيمات الأخرى، تربط سكان هذا المخيم علاقات هشة ومفككة مع الزعماء والفصائل الفلسطينية.

⁶ سماء أبو شرار "دراسة لأوضاع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات في لبنان"، 29 حزيران/يونيو 2008، على الموقع www.lpcd.gov.lb/uploads/2008-06/report19_1.pdf. وبحسب المعلومات، ينحدر فلسطينيو برج البراجنة من ثلاث قرى في الجليل الأعلى الموجودة حالياً في إسرائيل وهي ترشيشا، وكويكات، والكبيري. أنظر جيهان صغير-خياط، "من المؤقت إلى الدائم: بداية توطين اللاجئين في لبنان"، جريدة إم آي تي الإلكترونية لدراسات الشرق الأوسط، المجلد 1، أيار/مايو 2001. أما سياسياً، يسيطر على المخيم بشكل كبير فصائل تابعة للتحالف الموالي لسوريا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة وفتح الإنتفاضة والصاعقة على الوجه الخصوص والتي تتراأس اللجنة الشعبية المسؤولة عن إدارة المخيم. مقابلة لمجموعة الأزمات، جمال قاسم، مدير الخدمات السابق في مخيم برج البراجنة، الضاحية الجنوبية لبيروت، 6 حزيران/يونيو 2008. للجان الشعبية هي منظمات محلية تم تشكيلها من أجل ضمان إدارة المخيمات وأمنها. أنظر القسم الثالث ج أدناه. ويعود نفوذ التحالف في برج البراجنة إلى قربه من معقل حزب الله.

⁷ ارتبطت صبرا وشاتيلا في الذاكرة الشعبية بسبب المجزرة التي حدثت هناك سنة 1982 (أنظر الحاشيتين 8 و 29 أدناه). أما في الواقع، فإن الأونروا تعترف فقط بشاتيلا كمخيم رسمي. مقابلة لمجموعة الأزمات مع مسؤول في الأونروا، 17 شباط/فبراير 2009.

⁸ خلال الإجتياح، ارتكب ميليشيا القوات اللبنانية مجزرة في صبرا وشاتيلا بعد انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان. أنظر الحاشية 29 أدناه.

⁹ بين عامي 1985 و 1987 حدثت صدامات بين القوى الموالية لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وحركة أمل، الميليشيا الشيعية المدعومة من سوريا. وفي تلك الفترة خضع كثير من المخيمات للحصار.

¹⁰ أنظر www.un.org/unrwa/refugees/lebanon.html. وفي أواخر الثمانينيات من القرن العشرين استقر في المخيم عمال أجانب من السوريين والأكراد والسيريلانكيين. مقابلة لمجموعة الأزمات، أبو إياد،

مسؤول حركة فتح في مخيم شاتيلا، في 27 نيسان/إبريل 2008. وحتى عام 2000، خضع مخيم شاتيلا لسيطرة الفصائل الموالية لسوريا إلى حين دخول حركة فتح إلى المخيم من جديد بعد تحسن العلاقات بين دمشق والسلطة الفلسطينية. وبحلول عام 2005، عززت فتح تواجدتها في شاتيلا وكان ذلك انعكاساً لتطورين آخرين هما: انسحاب القوات السورية من لبنان والتقارب بين السلطة الفلسطينية وتحالف 14 آذار الحاكم. واليوم تتنافس للسيطرة على المخيم لجناتان شيعيتان إحداهما تابعة للتحالف والأخرى لمنظمة التحرير.

¹¹ أنظر موقع الأونروا www.un.org/unrwa/refugees/lebanon/dbayeh.html.

II. تطور العلاقات اللبنانية-الفلسطينية

أما منطقة الشمال، فتضم مخيمين هما:

□ نهر البارد، وقد أسسه الهلال الأحمر على بعد سبعة كيلومترات من طرابلس، ويتألف من قسمين تعترف الأونروا بقسم يُعرف بـ "المخيم القديم"، أما القسم الآخر فهو غير رسمي ويسمى بـ "المخيم الجديد". خلال الوجود السوري، سيطرت بعض فصائل التحالف على المخيم. أما بعد انسحاب القوات السورية، شهد نهر البارد تنازلاً على السلطة سمح بظهور جماعات جهادية أقل انضباطاً. وفي منتصف عام 2007، أدت معركة دامية بين الجيش اللبناني وإحدى هذه الجماعات وتدعى فتح الإسلام إلى تدمير المخيم القديم وأجزاء كبيرة من المخيم الجديد وتهجير سكانه البالغ عددهم 30,000، عاد منهم نحو 10,000²⁰.

□ البداوي، يقع على تلة تبعد خمسة كيلومترات عن طرابلس ويؤوي نحو 16,000²¹. تأثر هذا المخيم إلى حد كبير بأحداث نهر البارد حيث لجأ إليه العدد الأكبر من سكان نهر البارد. تميز بعلاقات التعاون التي تربط الفصائل الفلسطينية في ما بينها وذلك حفاظاً على المصالح الاجتماعية والاقتصادية والتجارية للمخيم. وفيه لجنة شعبية مشتركة تضم ممثلين عن كل من منظمة التحرير الفلسطينية والتحالف²².

وأخيراً مخيم الجليل، الذي يعرف أيضاً باسم "وافل" ويقع في وادي البقاع. وتتراوح التقديرات السكانية لهذا المخيم بين 7,000 وهو رقم الأونروا الرسمي ونصف هذا العدد بحسب السكان المحليين²³.

في أعقاب الحرب العربية-الإسرائيلية عام 1948 لجأ إلى لبنان نحو 140,000 فلسطينياً، أتى معظمهم من الجليل الأعلى ومناطق أخرى في شمال ما كان يُؤلف فلسطين المنتدبة. في البدء، أخذوا مساكن مؤقتة في ضيافة عائلات لبنانية أو منازل مستأجرة أو في الخيام. في عام 1949، ومع استمرار المنفى الفلسطيني، قامت الأمم المتحدة بتأسيس الأونروا وأوكلت إليها مسؤولية تأمين الحاجات الأساسية للاجئين. سعت الوكالة إلى تحسين الأوضاع المعيشية للفلسطينيين فقامت تدريجياً بتأسيس خمسة عشر مخيماً رسمياً دُمر ثلاثة منها خلال الحرب الأهلية (وهي مخيمات النبطية وجسر الباشا وتل الزعتر).

في المراحل الأولى، تجنب اللاجئون جذب الكثير من الانتباه إليهم وبقوا بعيدين عن النشاط السياسي خاصة وأن في حينها كانت تهيمن على لبنان نخبة مارونية (مسيحية) مصممة على الحفاظ على سيادة الدولة وتجنب لبنان صراعات متجددة مع إسرائيل إضافة إلى حماية مصالحها من الأغلبية المسلمة. وعليه، أخضع الفلسطينيون إلى رقابة صارمة من قبل مخابرات الجيش التي كانت تعرف بـ "المكتب الثاني"، كما كان للقوى الأمنية وجود ومفارز داخل المخيمات. فكان على اللاجئ الحصول على إذن خاص للتنقل من منطقة إلى أخرى داخل لبنان، وحظرت الاجتماعات لأكثر من شخصين في المخيمات، ومنع سكانها من قراءة الصحف أو الإستماع إلى الأخبار في الأماكن العامة²⁴.

ورغم هذه الإجراءات، ازداد النشاط الفلسطيني المسلح إذ جاءت هزيمة الـ 1967 كنقطة تحول فشارك الفلسطينيون بشكل مباشر في الحرب الأهلية اللبنانية التي استحوذت على البلاد لما يقارب العقدين.

أ. حرب معلنة (1969-1990)

حولت حرب الـ 1967 الفلسطينيين نحو الرديكالية في العالم العربي، ولبنان خاصة حيث تحول ما كان سابقاً وجود مسالماً في الأغلب إلى وجود مسلح، حين بدأت منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات تتادي بالكفاح المسلح ضد إسرائيل²⁵. وشن المقاتلون الفلسطينيون

الأزمات، خالد عارف، مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية عن الشؤون الخارجية والسياسية وزعيم فتح في بيروت، مية ومية، 4 أيار/مايو 2008. 20 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في الأونروا، 5 كانون الأول/ديسمبر 2008.

21 سماء أبو شرار، المرجع المذكور سابقاً. 22 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، أحمد لطفي، عضو اللجنة الشعبية في نهر البارد، 28 أيلول/سبتمبر 2008؛ أبو عدنان عودة، مسؤول العلاقات العامة والشؤون السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، 28 أيلول/سبتمبر 2008.

23 مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، محمود الحنفي، المدير التنفيذي للمنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان (شاهد)، بيروت، 7 حزيران/يونيو 2008. كانت العوامل الاجتماعية والاقتصادية السبب الرئيس في الهجرة من هذا المخيم، حيث لجأ عدد من سكانه إلى المخيمات في المدن الساحلية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار عباس زكي، بيروت، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

24 مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، صلاح صلاح، عضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ورئيس لجنة اللاجئين في المجلس الوطني الفلسطيني، بيروت، 2 آب/أغسطس 2008؛ جابر سليمان، باحث واستشاري فلسطيني مستقل، مخيم مار إلياس، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ وليد محمد علي، مدير عام، مركز "باحث" للدراسات والأبحاث الفلسطينية، بيروت، 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. أنظر أيضاً شفيق الحوت، "بين الوطن والمنفى" (بيروت، 2007).

25 جاء استقرار منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عام 1970 نتيجة لحدثين رئيسيين هما الهزيمة العربية سنة 1967 وأحداث أيلول الأسود حيث أجهزت القوات الأردنية على المقاتلين الفلسطينيين في عام 1970. استقادت منظمة التحرير الفلسطينية من ضعف الدولة اللبنانية ومن الانقسامات الداخلية إضافة إلى دعم الأحزاب اليسارية لتستقر في لبنان. أنظر ريكس براينين، "الملاذ والبقاء: منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان" (بولدر،

أرض فتح إذ شرعوا في رفض دفع فواتير المطاعم ونهب المحلات ومصادرة السيارات، ما أدى إلى استياء كبير في المناطق الخاضعة لسيطرتهم.²⁸

جاء الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 ليضع حداً لتوسع الفلسطيني متسبباً بتدمير المؤسسات والبنى التحتية الخاصة بمنظمة التحرير وإزالة عدد من المخيمات، كما أجبر قادة وكوادر المنظمة على الهروب من بيروت إلى تونس. وعليه، حُرّم اللاجئون من أهم مصادر التمويل والعمل، والأهم من ذلك، الحماية. إلى يومنا هذا، لا تزال مجزرة صبرا وشاتيلا، التي ارتكبتها القوات اللبنانية ضد السكان الذين تحولوا فجأة إلى هدف ضعيف جداً، جرحاً عميقاً في ذاكرة اللاجئين الفلسطينيين.²⁹

ورغم تعدد اللاعبين الفلسطينيين في لبنان، كانت منظمة التحرير حتى عام 1982، وفتح على وجه الخصوص، المسيطرة بشكل كامل على الساحة الفلسطينية. إلا أن السنوات اللاحقة شهدت صراعات داخلية دامية كانت سوريا تغذيها وتستعملها إلى حد كبير. وفي العام 1983، انشقت مجموعة عن فتح أطلقت على نفسها اسم 'فتح الانتفاضة' بدعم فاعل من دمشق.³⁰ وقاتل الجيش السوري الموالين لحركة فتح في ما سمي "معركة أبو عمار" (أبو عمار هو الإسم الحركي لياسر عرفات) في شمال لبنان، مجبراً العديد منهم على الهرب. كما شنت سوريا حملة ضد أنصار عرفات بين عامي 1985 و1987 في إطار ما يسمى بحرب المخيمات عبر أحد حلفائها، وهي حركة أمل.

المعروفون بـ 'الفدائيين' عمليات عسكرية عدة من جنوب لبنان ما أدى إلى صدامات بين المخيمات والجيش اللبناني. ونتيجة لذلك، أحكم الجيش اللبناني سيطرته على المخيمات الأمر الذي - إضافة إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية - أدى إلى زيادة التوتر داخل المخيمات ليصل ذروته في عام 1969 حين اندلعت أعمال شغب اقتتلها فلسطينيون وحلفاؤهم اللبنانيون في بيروت والجنوب وطرابلس.²⁶ وقد كان الفلسطينيون في تلك الفترة يحظون بدعم أغلبية المسلمين اللبنانيين إضافة إلى الأحزاب اليسارية.

وفي 3 تشرين الثاني/نوفمبر 1969، وقع، برعاية مصرية، الرئيس ياسر عرفات وقائد الجيش اللبناني حينها إميل البستاني اتفاق القاهرة الذي وضع حداً للقتال.²⁷ كان هذا الاتفاق أول وثيقة رسمية تنظم الوجود الفلسطيني في لبنان، إلا أنه أسس لمرحلة جديدة في العلاقات اللبنانية-الفلسطينية اتسمت بضعف نسبي للطرف اللبناني والانقسامات الداخلية والقوة النسبية للجانب الفلسطيني. وأدى النزاع بين الطرفين إلى أزمة وزارية استمرت شهوراً عدة انقسم لبنان خلالها بين أحزاب يمينية ذات غالبية مسيحية معادية لـ "المقاومة" الفلسطينية من جهة، وأحزاب يسارية وأغلبية مسلمة مؤيدة لها من جهة أخرى.

أعطى اتفاق القاهرة الفلسطينيين حق الكفاح المسلح ضد إسرائيل من الأراضي اللبنانية إضافة إلى حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية (حق العمل والإقامة والتحرك وما شابه). كما صادق على مبدأ الإدارة الذاتية للمخيمات من خلال تشكيل لجان إدارية محلية (تعرف باللجان الشعبية) وتأسيس منظمة الكفاح المسلح، وهي منظمة مسؤولة عن حفظ الأمن والنظام داخل المخيمات والتنسيق الأمني مع السلطات اللبنانية.

ازداد الموقف تعقيداً في العام 1970 حين نقلت منظمة التحرير الفلسطينية قيادتها وقواعدها العسكرية من الأردن إلى لبنان بعد الصدامات الدامية المعروفة بـ "أيلول الأسود" بين المجموعات الفلسطينية والجيش الأردني. وخلال السنوات الخمس التالية، تزايدت حدة الصراعات اللبنانية الداخلية لتندلع الحرب الأهلية رسمياً يوم 13 نيسان/أبريل عام 1975. وكدليل على الدور الفلسطيني المركزي، كان الحادث الذي أطلق شرارة الحرب مقتل أكثر من عشرين مدنياً فلسطينياً كانوا في حافلة ركاب على يد أعضاء من حزب الكتائب (وهو ميليشيا مسيحية)، كرد عقابي أعمى على مقتل أحد مسؤولي الحزب.

لعبت منظمة التحرير دوراً أساسياً في المرحلة الأولى من الحرب معتمدة على قوتها العسكرية الكبيرة إذ تمكنت من السيطرة على بيروت الغربية وعلى قسم كبير من الجنوب اللبناني إضافة طبعاً إلى المخيمات. وقامت المنظمة بتعزيز وجودها منجزة شبكة واسعة من المؤسسات السياسية والاجتماعية والتعليمية ساهمت في تحسين ملحوظ لأوضاع اللاجئين. وبالتعاون مع حلفائهم اللبنانيين، استغل المقاتلون الفلسطينيون الموقف في ما اصطلح على تسميته باسم

²⁸ انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 69، "حزب الله والأزمة اللبنانية"، 10 تشرين الأول/أكتوبر 2007، الصفحة 4.

²⁹ في ذلك الوقت كانت القوات اللبنانية تشكل الجناح العسكري لحزب الكتائب. وقد أدت الانقسامات بين هذين الفصيلين خلال الحرب الأهلية إلى انفصال القوات اللبنانية. واليوم تشكل هذه الأخيرة أحد أبرز الأحزاب المسيحية في تحالف 14 آذار. وكانت ميليشيا القوات اللبنانية قد نفذت الهجوم على صبرا وشاتيلا بين 16 و18 أيلول/سبتمبر عام 1982، كردّ صريح على مقتل زعيمهم ورئيسهم المنتخب حديثاً بشير الجميل. وقد كانت المنطقة التي تضم المخيمات واقعة عندها تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي. خلص تحقيق إسرائيلي رسمي إلى أن الجيش الإسرائيلي سمحت لأعضاء الميليشيا دخول مخيمات اللاجئين وراقبت عمليات القتل. ليس هنالك تقديرات موثقة للضحايا إذ يتراوح العدد بين 800 (بحسب لجنة كاهان الإسرائيلية) و3,000 (بحسب المصادر الفلسطينية). انظر منظمة حقوق الإنسان هيومان رايتس ووتش www.hrw.org/arabic/mena/list/text/isr-pabg.htm.

³⁰ عارضت فتح الانتفاضة عدداً من قرارات عرفات أهمها قبوله قرار مجلس الأمن رقم 242 وخطة السلام السعودية في مؤتمر القمة العربية الثاني عشر في فاس عام 1981 حيث طالبت باتسحاب إسرائيلي من الأراضي التي احتلت سنة 1967 (انظر قرارات القمة الموجودة على الموقع www.mideastweb.org/fahd_fez_plan.htm). كما عارض المنشقون زيارة ياسر عرفات إلى مصر في 1983 وقبوله مناقشة خطة الرئيس الأمريكي ريغان للسلام مع ملك الأردن حسين إضافة إلى انتقادهم الفساد والمحسوبية داخل حركة فتح. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، قادة فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل - تشرين الأول/أكتوبر 2008.

1990) في الموقع www.arts.mcgill.ca/MEPP/PNRN/papers/sanctuary/contetns.html.

²⁶ أنظر أليبرت بورغي وبيريس ويس، "المؤامرات اللبنانية: الحرب أم السلام في الشرق الأدنى؟" (باريس، 1978).

²⁷ أنظر الملحق د أدناه.

لبنان عام 2000.³³ إضافة إليه، أخذت سوريا خطوات متعددة تحد أي اتصالات منفصلة بين السلطات اللبنانية وفتح.³⁴

ووفقاً لرفعت شناعة، وهو مسؤول حركة فتح في مخيم البداوي، اعتقلت الاستخبارات السورية بين عامي 1990 و2000 مئات من مناصري الحركة: "كان البديل الوحيد أمامنا أن نعزز وجودنا في الجنوب. أما المناطق الأخرى الخاضعة للنفوذ السوري، عملت فتح بطريقة سرية وكان هدفنا الأساسي الحفاظ على الذات والبقاء".³⁵

كما واجهت منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح مشاكل أخرى كان الكثير منها من صنع أيديهم إذ كانوا في نظر عدد كبير من اللبنانيين مسؤولين عن اندلاع الحرب الأهلية وعن ارتكاب إساءات كثيرة خلال سنوات سيطرتهم في الجنوب. أدت هذه العوامل إلى تسميم العلاقات مع السكان المحليين وأعاققت في ما بعد الحوار حول وضع اللاجئين. وإذا ما وضعنا السياسة السورية جانباً، فإن الأطراف اللبنانية في معظمها فضلت عدم التعامل مع الشأن الفلسطيني. وعليه، وحتى عام 2004، لم تقم الدولة اللبنانية بأي شيء جدي لتنظيم العلاقات اللبنانية-الفلسطينية.³⁶ أعيد فتح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية مجدداً عام 1990 بعد إغلاقه إبان الاجتياح الإسرائيلي، ليتم تسكيه من جديد بعد بضعة أشهر.³⁷

وبعد انتهاء الحرب، بقيت المخيمات خارج السيادة اللبنانية بانتظار اتفاق سلام مزعوم مع إسرائيل يحدد مصير اللاجئين الأمر الذي أدى، إضافة إلى تراجع مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، إلى فقدان الفلسطينيين في لبنان قيادة قوية، شرعية ومعترف بها. ولم تسطع الفصائل الأخرى، رغم جهودها، ملاً هذا الفراغ إلا بطريقة جزئية وعشوائية.

وقد أثرت جميع العوامل المذكورة أعلاه على وضع السلاح الفلسطيني. ورغم إقرار اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية بنزع سلاح جميع الميليشيات، إلا أن ضعف الدولة اللبنانية وخضوعها للنفوذ السوري أفقدها أي إمكانية لدخول المخيمات وتطبيق هذا القرار. كما كان السلام الناتج عن اتفاق الطائف لا يزال هشاً ما أثار خشية الكثيرين أن يؤدي أي تدخل داخل المخيمات إلى اندلاع القتال من

³³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، محمد الحاج، إمام مسجد التقوى في نهر البارد وعضو رابطة علماء فلسطين، أبو سمراسم/لبنان، 25 كانون الأول/ديسمبر 2008.

³⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون في حركة فتح، بيروت، نيسان/أبريل - أيار/مايو 2008.

³⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، رفعت شناعة، مسؤول حركة فتح في الشمال، مخيم البداوي، 13 نيسان/أبريل 2008؛ أبو إياد، مسؤول حركة فتح في شاتيلا، بيروت، 27 نيسان/أبريل 2008، أعضاء في حركة فتح، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل - أيلول/سبتمبر 2008.

³⁶ بين عامي 1990 و2004، أخذت مبادرة واحدة لمناقشة العلاقات اللبنانية-الفلسطينية. ففي عام 1991 تم تفويض لجنة وزارية من أجل دراسة حقوق اللاجئين الاقتصادية والاجتماعية. ولكن لم تكن هناك رغبة صادقة في الحوار وسرعان ما تعثرت تلك الجهود. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، صحافي لبناني، بيروت، 29 حزيران/يونيو 2008؛ صلاح صلاح، عضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ورئيس لجنة اللاجئين في المجلس الوطني الفلسطيني، بيروت، 2 آب/أغسطس 2008.

³⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، بيروت 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

تركزت الإستراتيجية السورية في البدء على تقوية وجود منظمة التحرير في لبنان، لكن سرعان ما عمدت إلى إزالتها.³¹ وقد لعب هذا التحول دوراً حاسماً في إعادة توزيع الأوراق السياسية في المخيمات بعد الحرب الأهلية، كما كان جزئياً أحد المسببات في طبيعة العلاقات بين الدولة اللبنانية واللاجئين الفلسطينيين في سنوات ما بعد الحرب.

ب. سنوات ما بعد الحرب (1990-2004)

في سنوات ما بعد الحرب، استمر إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة فتح على وجه الخصوص، ليضاف ذلك إلى الضربات التي تلقتها المنظمة في الصراعات المتلاحقة مع إسرائيل، والميليشيات اللبنانية، والجيش السوري، والفصائل الفلسطينية المنشقة. وبين عامي 1990 و2000 قامت الحكومة اللبنانية الموالية لسوريا بحصر تواجد فتح السياسي بمخيمات الجنوب محولة وجودها في المناطق الأخرى إلى شبه سري،³² بينما قام منافسو حركة فتح، وبشكل رئيسي فتح الانتفاضة والصاعقة والجهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، بمد نفوذهم إلى المخيمات في الشمال وبيروت والبقاع. كما بدأت حماس بالظهور على الساحة قبل انتقالها رسمياً من الأردن إلى

³¹ حين شنت القوات المسيحية هجوماً على الفلسطينيين وحلفائهم من اليسار اللبناني ساندت سوريا في عام 1976 الطرف الثاني. وطرح عندنا مشروعاً للسلام لكنه رُفض من قبل التحالف الفلسطيني-اللبناني الذي بادر إلى شن هجمة على خصومه المسيحيين. عندها تدخل الجيش السوري دفاعاً عن المسيحيين. وفي أعقاب الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، دعمت سوريا مجدداً منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فسرعان ما قامت المنظمات الفلسطينية الموالية لسوريا وميليشيا أمل بالهجوم على قوات المنظمة. وهناك العديد من التفسيرات للمواقف السورية المتبدلة حيث كان هدفها الأساسي أن تبقى صاحبة النفوذ الأكبر في لبنان فعمدت إلى منع أي طرف محلي التفوق بشكل حاسم على طرف آخر، وكذلك إبعاد خطر المنافسين الإقليميين (إسرائيل ومصر والعراق والأردن والسعودية). إلا أن ازدياد قوة منظمة التحرير في لبنان وتصميم ياسر عرفات الحفاظ على استقلاليتها كانا يهددان الطموحات السورية إذ كانت دمشق تتطلع إلى استخدام المنظمة الفلسطينية كورقة في إستراتيجيتها الإقليمية، كما كانت تتوق لمنع أي صفقة منفردة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، ولم يكن بالإمكان الوثوق بعرفات في أي من هاتين المسألتين. كما كان النظام السوري يخشى من أن يجره الأداء الفلسطيني في لبنان إلى حرب مع إسرائيل. وقد ازداد التوتر بين الرئيسين الأسد وعرفات في مطلع الثمانينيات عندما قام هذا الأخير بتحسين علاقاته أولاً مع عدو سوريا الأكبر صدام حسين، وثم مع مصر. أنظر رايموند هينيناش، "الفلسطينيون والسياسة السورية في لبنان"، "أراب ستايدز كوارتيرلي"، المجلد 8، رقم 1 (شتاء 1986) الصفحات 1-20.

³² كانت القيود المفروضة في أماكن أخرى (مثل تقييد حرية الحركة ومنع إدخال مواد البناء إلى المخيمات) أقل تشدداً ذلك بفضل العلاقات المميزة بين أجهزة الاستخبارات السورية والفصائل الموالية لسوريا التي كانت تسيطر على هذه المخيمات. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون في المخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل - أيار/مايو 2008.

جديد.³⁸ ومن جهتها، كان لسوريا – التي فوضها العالم العربي حفظ الاستقرار – مصلحة في إبقاء حلفائها الفلسطينيين على أسلحتهم تسعملها ورقة ضغط ضد كل من إسرائيل ولبنان. ووفقاً لمسؤول رفيع في الجيش اللبناني، أبقيت الأسلحة الفلسطينية داخل المخيمات في ما سلمت الأسلحة خارجها في معظمها باستثناء تلك التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة وفتح الانتفاضة.³⁹ وعليه، احتفظ هذان الفصيلان المقربان من سوريا بقواعد عسكرية في منطقة الناعمة، جنوب بيروت، وفي البقاع.⁴⁰ وتم تجاهل موضوع السلاح الفلسطيني بين عامي 1990 و 2004.

يمثل موضوع السلاح هذا بالنسبة لتحالف 14 آذار⁴⁴ أحد أبعاد الصراع مع سوريا إذ أن الفصائل الممسكة به تابعة لسوريا، وبالتالي سوف يؤدي نزع سلاحها إلى تقليص أكبر للنفوذ السوري،⁴⁵ كما سيشكل سابقة باتجاه نزع سلاح حزب الله.⁴⁶

ج. 2004-2005: نقطة تحول أم طريق مسدود؟

1. قرار مجلس الأمن رقم 1559

أما بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية فلنزع سلاح الفصائل التابعة للتحالف فوائده واضحة بعدما ضعفت قدراتها العسكرية بشكل كبير ونأت بنفسها عن الكفاح المسلح منذ توقيع اتفاق أوسلو، وكوسيلة لإضعاف هذه الفصائل التي تحدت سلطتها سابقاً.⁴⁷ وفي 7 كانون الثاني/يناير 2008، أقرّ ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عباس زكي أن السلاح الفلسطيني يجب أن "يخضع إلى القوانين اللبنانية"⁴⁸ وقد راحت منظمة التحرير إلى أبعد من ذلك عندما اقترحت أن تتخلى الفصائل الفلسطينية عن مهمة حفظ الأمن داخل المخيمات وإيلاء هذه المسؤولية للدولة اللبنانية. وقال مسؤول في منظمة التحرير في هذا السياق "يتجسد موقفنا الرسمي في أن تتحمل الدولة اللبنانية النظام والأمن في المخيمات بما أن هذه

عادت مسألة السلاح الفلسطيني التي طال تجاهلها لتتصدر الخطاب السياسي من جديد في 2 أيلول/سبتمبر 2004 مع إصدار مجلس الأمن القرار 1559 الذي يدعو إلى انسحاب سوريا من لبنان، كما يطالب بنزع سلاح الميليشيات جميعها، لبنانية وغير لبنانية. وكانت الأطراف الراحية هذا القرار ترمي به إلى أهداف عدة هي: تعزيز سيادة الدولة اللبنانية وإنهاء الهيمنة السورية وتجنّب إسرائيل المزيد من العمليات العسكرية، وبالنسبة للولايات المتحدة بالتحديد، فكانت تهدف لإضعاف محور إيران/سوريا/حماس/حزب الله.⁴¹

فجر اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في 14 شباط/فبراير 2005 – والذي حمل الكثيرون سوريا مسؤوليته – سلسلة أحداث أدت إلى انسحاب القوات السورية في نيسان/أبريل 2005 وأسست لبدء مرحلة جديدة في تاريخ لبنان تميزت بانتهاء الوصاية السورية ونشوء استقطاب سياسي عميق إضافة إلى جرائم قتل استهدفت بشكل أساسي شخصيات قيادية في حركة 14 آذار المعادية لسوريا.⁴²

⁴³ حتى الآن ما تزال فكرة "إعادة تنظيم" السلاح الفلسطيني غير واضحة المعالم، ومن المقرر أن يقوم الحوار اللبناني-الفلسطيني بتوضيحها. وقال مسؤول في لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني "يقصد بإعادة التنظيم" آلية تحديد الجماعات المختلفة الموجودة ضمن المخيمات مع تحديد دور سلاحها والمعايير التي يمكن بموجبها استخدام هذا السلاح. والهدف من ذلك ضمان أن لا يتم استخدام هذا السلاح من أجل الإضرار بلبنان أو زرع عداوة استقراره. ولكن إعادة التنظيم هي مجرد مرحلة انتقالية بانتظار المرحلة التي تستطيع فيها الدولة اللبنانية احتكار القوة العسكرية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، زياد الصايغ، بيروت، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

⁴⁴ تشير تسمية "14 آذار" إلى المظاهرات الحاشدة التي قامت في ذلك اليوم من عام 2005 ردّاً على اغتيال الحريري. ويضم هذا التحالف مسلمين سنة (بشكل رئيسي حركة المستقبل بقيادة سعد الحريري) ودروراً (الحزب التقدمي الاشتراكي بقيادة وليد جنبلاط) ومسيحيين (القوات اللبنانية وحزب الكتائب المسيحية ولقاء قرنة شهوان) إضافة إلى غيرها من الحركات والشخصيات المعارضة لسوريا.

⁴⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مصطفى علوش، نائب في البرلمان عن تيار المستقبل، طرابلس، 4 آب/أغسطس 2008؛ أنظر أيضاً جبران تويني، وهو نائب سابق في البرلمان عن 14 آذار ورئيس تحرير جريدة "النهار" قُتل في كانون الأول/ديسمبر 2005، الجزيرة، 17 تشرين الأول/أكتوبر 2005.

⁴⁶ في خطاب ألقاه أمين الجميل في إحياء ذكرى اغتيال ابنه في تشرين الثاني/نوفمبر 2006 قال "لا يمكن أن تسمح الدولة بأي وجود عسكري غير شرعي على أي من أراضيها... لا سلاح الفصائل الفلسطينية... ولا سلاح حزب الله". "إذا دابلي ستار"، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

⁴⁷ استهدف في عين الحلوة عدد من مسؤولي حركة فتح، وجاء قتل العديد منهم على يد جماعات مثل جند الشام وعصبة الأنصار. أنظر آر ناسون، المرجع المذكور سابقاً.

⁴⁸ أنظر الملحق ج أدناه.

³⁸ وقع الحادث الوحيد الجدير بالملاحظة عام 1991 على أطراف عين الحلوة، حيث نشبت معركة قصيرة بين الجيش اللبناني وقوات منظمة التحرير الفلسطينية. اتصالات مجموعة الأزمات عبر البريد الإلكتروني، مسؤول رفيع في الجيش اللبناني، كانون الأول/ديسمبر 2008.

³⁹ المرجع السابق.
⁴⁰ لا يتوفر سوى القليل من المعلومات حول هذه القواعد العسكرية التي تخضع لحراسة مشددة ولا يمكن الوصول إليها عملياً. ويذكر أنها تستخدم كمخازن للسلاح ومعسكرات للتدريب. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مقاتل لبناني سابق في حركة فتح، 27 أيلول/سبتمبر 2008؛ صحافي لبناني، 8 أيلول/سبتمبر 2008. أنظر أيضاً "الشرق الأوسط"، 14 حزيران/يونيو 2007، نيكولاس بلانفورد، "الجنود السوريون يعودون إلى قواعد لبنانية"، "ذا ناشينال"، 29 نيسان/أبريل 2008 على الموقع www.thenational.ae/article/20080429/FOREIGN/544010081/1002/NEWS.

⁴¹ لمزيد من التفاصيل حول قرار مجلس الأمن 1559 أنظر تقرير مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 39، "سوريا بعد لبنان، لبنان بعد سوريا"، 12 نيسان/أبريل 2005، وكذلك تقرير مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 48، "لبنان: إدارة العاصفة المتجمعة"، 5 كانون الأول/ديسمبر 2005.

⁴² لمزيد من التفاصيل حول الأزمة اللبنانية أنظر تقرير مجموعة الأزمات، "لبنان: إدارة العاصفة المتجمعة"، المرجع المذكور سابقاً.

ضد الجيش اللبناني. كما اتفقا على منع بيع أو تأجير الممتلكات في المخيمات إلى الأجانب، ورفض المربعات الأمنية⁵⁴.

ولكن حتى هذه الإجراءات المتواضعة – التي وافقت عليها الجماعات الجهادية أيضاً – لم يكن لها تأثير كبيراً على قدرة الفلسطينيين ضمان الأمن والنظام داخل المخيمات حيث استمرت أعمال العنف في عين الحلوة حيث أدى صدام بين حركة فتح وجند الشام في أيلول/سبتمبر 2008 إلى مقتل اثنين من الإسلاميين وأحد أعضاء الحركة⁵⁵. أما الدولة اللبنانية، فتفتقر إلى الوسائل التي تسمح لها بالمضي قدماً بإجراءات لتحفظ الأمن في المخيمات فقد يتسبب ذلك بمواجهة مع الجماعات الفلسطينية المسلحة. ويقول لواء متقاعد وعضو سابق في اللجنة اللبنانية التي كانت مكلفة التفاوض مع الفلسطينيين:

في غياب جيش قوي وحكم متماسك ودولة موحدة، لن يستطيع لبنان تولي مسؤولية الأمن في المخيمات وأي تقدم ملموس لإعادة تنظيم السلاح داخل المخيمات يتطلب إجماعاً فلسطينياً- فلسطينياً وفلسطينياً-لبنانياً⁵⁶.

كما هناك عقبة أخرى أمام نزع السلاح الفلسطيني تتخطى الانقسامات الفلسطينية واللبنانية وحتى الاعتبارات الإقليمية. فبالنسبة إلى عدد كبير من اللاجئين الذين عانوا الحروب والقتل الجماعي وتدمير العديد من مخيماتهم، يعطيهم السلاح إحساساً بالأمن والأمان في وجه تهديد يرونه كدائم. فالشعور القوي بالخطر لم يتراجع لدى اللاجئين، بل ازداد وتعمق في ظل الأزمات التي تهب لبنان منذ عام 2004. ويقول قائد أحد المجموعات الإسلامية إن مهاجمة بعض المسؤولين اللبنانيين⁵⁷ الفلسطينيين "أحييت المخاوف القديمة.

المخيمات موجودة على أرض تخضع للقانون اللبناني وتقع ضمن السيادة اللبنانية⁴⁹. وفي المقابل شددت منظمة التحرير الفلسطينية على منح اللاجئين حقوقاً اجتماعية واقتصادية أكبر.

ولم يكن مفاجئاً أن تعارض المنظمات الفلسطينية الكفاحية في معظمها قرار مجلس الأمن 1559 وتنتقده بشدة وتصفه بالإخضاع (من إخضاع). فقد وصف ممثل حركة حماس في لبنان، أسامة حمدان القرار بأنه "محاولة تهدف إلى إضعاف كل عناصر القوة في المقاومة ضد إسرائيل في المنطقة"⁵⁰. وبالرغم من أن هذه الأسلحة لم تعد تُستخدم لمحاربة إسرائيل من الأراضي اللبنانية، إلا أنها تشكل أداة ضغط⁵¹. في الواقع، تسمح هذه القدرات العسكرية لفصائل التحالف بتحدي منظمة التحرير وتقديم أنفسهم على أنهم المناضلون الفعليون والوحيدون للدفاع عن قضية اللاجئين من خلال تمسكهم بالكفاح المسلح بعكس منظمة التحرير التي دخلت في مفاوضات مع إسرائيل يصفونها بالعقيمة. ويقول حمدان في هذا الصدد "كل ما تفعله منظمة التحرير الفلسطينية هو إعطاء وعود غير واقعية لا يمكنها تحقيقها"⁵². وقد جاء أداء حزب الله في حرب تموز/ يوليو 2006 منسجماً مع هذا التوجه.

يقول أبو عدنان، مسؤول العلاقات العامة والشؤون السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة: "نحن نشارك حزب الله الاقتناع نفسه ودعم المقاومة التي تعدّ مسألة وجود بالنسبة إلينا. لقد هدد حزب الله الكيان الصهيوني وأثبت أن المقاومة هي الطريق الوحيد لمواجهة إسرائيل"⁵³. لكن العلاقة مع حزب الله تتعدى مجرد كونها عقائدية. وعليه، فإن حزب الله (مثل قوى 14 آذار) يعرف أيضاً – وفي حالته يخشى – أن تؤسس الخطوات الرامية إلى نزع سلاح الفصائل الفلسطينية لتطبيق أوسع لقرار مجلس الأمن 1559.

وحتى اليوم، لم تتوصل الفصائل الفلسطينية إلا إلى حد أدنى من الإجماع، مدفوعة بالاقتتال الذي وقع في عين الحلوة في حزيران/يونيو وتموز/يوليو 2008. وفي هذا السياق يقول مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية:

نقوم بتنفيذ عدد من الإجراءات التي نوافق عليها جميعاً. والهدف من ذلك الحفاظ على أمن المخيمات، وخاصة في عين الحلوة. فقد اتفقتنا مثلاً على حظر المظاهر المسلحة في المخيمات، ومنع إطلاق النار العشوائي في الهواء، ومعاينة أي عمل استفزازي

⁵⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار عباس زكي، بيروت، 10 أيلول/سبتمبر 2008.

⁵⁵ وقع الحادث على خلفية توتر طويل الأمد بين الحركتين.

⁵⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نبيه فرحات، لواء (متقاعد) وعضو

سابق في اللجنة المسؤولة عن التعامل مع السلاح الفلسطيني، بيروت، 8

أيلول/سبتمبر 2008. والخطة التي تطرحها منظمة التحرير الفلسطينية

تتضمن مشكلات. وحتى لو توصلت الفصائل الفلسطينية والحكومة اللبنانية

إلى اتفاق، تقول منظمة التحرير الفلسطينية إن على المقاتلين والمسؤولين

العسكريين أن يقوموا بتشكيل كتبية فلسطينية تابعة لقيادة أركان الجيش

اللبناني – على غرار ما حدث في الأردن وسوريا. مقابلة أجرتها مجموعة

الأزمات، عباس زكي، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، بيروت،

17 آب/أغسطس 2008. إلا أن هذا الحل سيكون مثار جدل كبير بالنظر

إلى التوتر الطائفي والقلق الدائم من توطين للفلسطينيين والمخاوف المتبقية

من الحرب الأهلية. ويقول نبيه فرحات "هذه فكرة غير واقعية. ومن أجل

تطبيقها نحن نحتاج دولة وجيش قويين. هذا ما يحدث في سوريا بالفعل

ولكن ليس بالإمكان تطبيقه في لبنان". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات،

نبيه فرحات، المرجع المذكور أعلاه. كما أن بعض الفلسطينيين قد عارضوا

هذه الفكرة لخوفهم من أن تتحول هذه الكتبية الفلسطينية إلى "جيش من

المخبرين يعملون داخل المخيمات لصالح السلطات اللبنانية". مقابلة أجرتها

مجموعة الأزمات، جابر سليمان، باحث واستشاري فلسطيني مستقل، مخيم

مار إلياس، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

⁵⁷ فعلى سبيل المثال اتهم مسؤول كبير في وزارة الدفاع اللبنانية المدنيين

الفلسطينيين بمساعدة مقاتلي فتح الإسلام. "ذا غارديان"، 4 حزيران/يونيو

2007، كما اتهم بيان صادر عن الحزب التقدمي الاشتراكي الجبهة الشعبية

لتحرير فلسطين-القيادة العامة بقيادة أحمد جبريل بأنها أداة سورية تهدف

إلى زعزعة استقرار لبنان، "الشرق الأوسط"، 8 نيسان/أبريل 2006.

⁴⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، هشام دبسي، المستشار الإعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 8 أيلول/سبتمبر 2008.

⁵⁰ "ذا دايلي ستار"، 8 تموز/يوليو 2005.

⁵¹ "أسلحتنا هي أداة ضغط للحؤول دون أي حل للقضية الفلسطينية على

حساب اللاجئين، هي إذا أداة لحماية حق العودة". مقابلة أجرتها مجموعة

الأزمات، أبو عدنان عودة، المسؤول العلاقات العامة والشؤون السياسية،

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، مخيم البداوي، 6 كانون

الثاني/يناير 2009.

⁵² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أسامة حمدان، ممثل حركة حماس في

لبنان، بيروت، 28 نيسان/أبريل 2008.

⁵³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو عدنان عودة، 13 نيسان/أبريل

2008.

2. لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني

سمح الانسحاب السوري من لبنان عام 2005 لحركة فتح استعادة بعضاً من نفوذها الضائع. فقامت بإعادة فتح مكاتبها في بعض المخيمات وخاصة في الشمال وبيروت والبقاع.⁶⁵ كما شهدت العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية برئاسة فؤاد السنيورة تحسناً كبيراً، كأحد وسائل إضعاف الفصائل الفلسطينية الموالية لسوريا.⁶⁶ وأعيدت العلاقات الرسمية مع لبنان في أيار/مايو 2006 بعد توقف دام قرابة خمسة عشر عاماً.⁶⁷ إضافة إليه، دعمت الحكومة بشكل كبير جهود الأونروا من أجل تطوير البنى التحتية والمساكن والمؤسسات التعليمية والصحية داخل المخيمات.⁶⁸ وتقول كارين أبو زيد، المفوضة العامة للأونروا "شكلت سنة 2005 نقطة تحول كبرى سمحت بتحديث البنى التحتية والمساكن في المخيمات. قبل ذلك، لم يكن بإمكاننا إدخال حتى مسماراً".⁶⁹

وشكل إنشاء لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، وهي هيئة وزارية استشارية، أحد أهم مظاهر التغير في العلاقات بين لبنان وسكانه الفلسطينيين إذ كلفت هذه اللجنة بدراسة كيفية تحسين الأوضاع اللاجئيين المعيشية وتطوير آلية لتنظيم السلاح داخل المخيمات ونزع القواعد العسكرية غير الشرعية خارجها، إضافة إلى إعادة العلاقات الدبلوماسية بين لبنان والسلطة الفلسطينية. كما شرعت اللجنة إلى بدء حوار بين اللبنانيين حول موضوع اللاجئيين.⁷⁰

⁶⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، خالد عارف، مسؤول الشؤون الخارجية والسياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ومسؤول حركة فتح في بيروت، مخيم مية ومية، 4 أيار/مايو 2008. وفي أعقاب وفاة الرئيس حافظ الأسد عام 2000 واندلاع الانتفاضة الثانية في وقت لاحق من ذلك العام تحسنت العلاقات بشكل تدريجي بين دمشق وباسر عرفات. واستعادت منظمة التحرير الفلسطينية موطأ قدم لها في بيروت رغم أنها منعت من فتح مكاتب سياسية في الشمال أو بيروت أو البقاع.

⁶⁶ بالنسبة إلى سياسة فؤاد السنيورة تجاه منظمة التحرير الفلسطينية أنظر تقرير مجموعة الأزمات "لبنان: إدارة العاصفة المتجمعة"، المرجع المذكور سابقاً، الصفحات 5-6.

⁶⁷ كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أعادت فتح مكتبها عام 1990 بعد نهاية الحرب الأهلية، إلا أن أنشطتها كانت مقيدة بشكل كبير بسبب علاقتها العدائية مع النظام الموالي لسوريا حينذاك. وقد تم إغلاق المكتب في وقت لاحق من ذلك العام وقطعت العلاقات الرسمية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار عباس زكي، بيروت، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

⁶⁸ مثلاً قامت الحكومة بتخفيف القيود على إدخال مواد البناء إلى المخيمات. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كارين أبو زيد، المفوضة العامة للأونروا، دمشق، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2008. في عام 2006 وبناء على طلب من السنيورة قدمت الأونروا إلى الحكومة ملخصاً عن احتياجات اللاجئيين الفلسطينيين والمشاريع الملحة غير الممولة، وعرفت هذه المبادرة باسم مبادرة تحسين أوضاع المخيمات. وقد التقى السنيورة مع 25 سفيراً معتمداً في لبنان وحث الدول المانحة على تمويل مشاريع الأونروا. وقد تم تأمين نحو نصف المبلغ الأولي الذي قدر بـ 50 مليون دولار. "شركاء في المسؤولية"، تقرير لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بدون تاريخ، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، خليل مكاي، رئيس لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 18 آب/أغسطس 2008.

⁶⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، دمشق، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

⁷⁰ "شركاء في المسؤولية"، المرجع المذكور سابقاً، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نديم شحادة، مستشار لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

ويقلقتنا بشكل كبير غياب دولة قوية والتسلح القائم في لبنان من قبل جميع الأطراف. ونحن لا نضمن ألا نكون هدفاً من جديد".⁵⁸ ويكرر تلك المخاوف أحد سكان مخيم البداوي بقوله:

نحن نعيش في خوف دائم. فلا يتثنى لنا نسيان ألم قديم حتى نعيش مأساة جديدة. نحن نعرف أن كل شيء يمكن أن ينهار في لحظات فالمخيمات هي الحلقة الأضعف وستبقى دائماً معرضة للهجوم.⁵⁹

وتظهر الاستطلاعات أن أغلبية اللاجئيين يرفضون نزع السلاح بحجة الدفاع عن النفس.⁶⁰ كما انتقدت المرونة التي أظهرتها منظمة التحرير الفلسطينية حتى من قبل أعضاء المنظمة نفسها إذ يقول أحد مسؤولي الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين:

داخل حركة فتح لا يوافق كل القادة على أسلوب عباس زكي فسلطان أبو العينين⁶¹ ومدير المقدم⁶² مثلاً يعارضان تسليم السلاح إلى السلطات اللبنانية. كما يرى بعض المسؤولين السابقين أن زكي قدم تنازلات كبيرة للدولة دون أن يحصل على أي شيء في المقابل.⁶³

ولا يُستشعر الوجود الفلسطيني من خلال السلاح فقط. فعلى الرغم من تعهد الفلسطينيين عدم التدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية،⁶⁴ إلا أن تفاعلهم مع سياسة الدولة المضيفة لا بد منه، وإن من خلال التحالفات المحلية والإقليمية. كما لا يمكن تجاهل الاحتكاك بين المخيمات وسائر المناطق اللبنانية وقد أصبح عدد من هذه المخيمات أماكن تغلت قانوني.

⁵⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، جمال خطاب، رئيس الحركة الإسلامية المجاهدة، عين الحلوة، 29 آذار/مارس 2008.

⁵⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أحد سكان مخيم البداوي، 5 أيار/مايو 2008.

⁶⁰ وفقاً لأحد هذه الاستطلاعات فإن 56 في المئة من اللاجئيين يوافقون على هذا الرأي. أنظر مروان كنفاتي وإليزابيث شيفرين "من المجزرة إلى الميليشيا: الجدل ضد نزع السلاح الفلسطيني في لبنان"، "تقرير واشنطن عن شؤون الشرق الأوسط"، المجلد 25، رقم 2 (آذار/مارس 2006) الصفحات 38-40.

⁶¹ أبو العينين هو أمين سر حركة فتح وأمين سر سابق لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، كما كان ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان قبل عباس زكي.

⁶² قائد منظمة الكفاح المسلح الفلسطيني في لبنان ومسؤول حركة فتح في صيدا سابقاً.

⁶³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو عماد شاتيل، مسؤول الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، مخيم مار إلياس، 3 أيار/مايو 2008.

⁶⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، قادة فصائل فلسطينية، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008. يؤكد الفلسطينيون دوماً أنهم لن يتدخلوا في الشؤون الداخلية اللبنانية، وقد تم التأكيد على هذا الموقف خلال المصادمات بين حزب الله و14 آذار في أيار/مايو 2008. أنظر موجز لمجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 23، "لبنان: سلاح حزب الله يتحول إلى الداخل"، 15 أيار/مايو 2008. وفي 18 أيار/مايو 2008 وقعت منظمة التحرير الفلسطينية وقادة التحالف على بيان مشترك يؤكدون فيه عدم تدخلهم في الشأن اللبناني ويطالبون الأحزاب اللبنانية "عدم استخدام الفلسطينيين سواء سياسياً أو في حملاتهم الإعلامية". أنظر "الشرق الأوسط"، 19 أيار/مايو 2008.

وما شابه. وتعدّ هذه خطوة ضرورية إذا ما أردنا تحقيق المزيد من النتائج الملموسة".⁷⁷

لكن وعلى الرغم من هذه إنجازات، لا يزال التقدم محدوداً إذ أعاقت الأزمات السياسية اللبنانية والانقسامات الفلسطينية عمل اللجنة إلى حد كبير. إندلعت حرب عام 2006 بعد بضعة شهور فقط من تأسيس اللجنة وتلاها شلل برلماني⁷⁸ فوُضع الملف الفلسطيني جانبا. وفي ظل الأزمة البرلمانية، كان مستحيلاً تنظيم حوار فعلي بين اللبنانيين حول وضع اللاجئين القانوني أو السياسي أو الاجتماعي والاقتصادي. ثم جاءت معركة نهر البارد عام 2007 كانتكاسة أخرى مُجبرة اللجنة على التعامل مع الأزمة الطارئة على حساب مهامها الأساسية الأوسع.⁷⁹

ومن جهة أخرى، أعاققت الانقسامات الفلسطينية عمل اللجنة إذ رغم اعتراف الحكومة رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية كالممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني،⁸⁰ لم تستطع تجاهل النزاعات بين الفلسطينيين أنفسهم.⁸¹ ويوضح نديم شحادة، وهو مستشار في لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، ذلك بقوله: "عندما طلب رئيس الوزراء من منظمة التحرير الفلسطينية وفصائل التحالف تقديم مطالبهم، قدم كل منهما اقتراحات متنافسة. كما طلب منهم السنيورة تشكيل لجنة فنية مشتركة لتتسق مع لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، لكن ذلك لم يحدث أبداً".⁸² وعلق شحادة مازحاً: "إنها لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني الأحادي الجانب".⁸³

ويرى بعض الفلسطينيين أن الدولة اللبنانية تتذرع بانقساماتهم لتأجيل الحوار كما يقول أحد الناشطين: "نعم هناك انقسامات فلسطينية، لكن المطالب إن كانت من قبل منظمة التحرير أو من قبل التحالف، فهي متشابهة إلى حد كبير. إن الحكومة تستخدم مشاكلنا الداخلية كأداة لتبرير فشلها وعجزها عن الوفاء بوعودها التي تعود إلى ثلاث سنوات".⁸⁴

وبحسب رئيس اللجنة، "ولأن الحكومة اللبنانية غير قادرة على تلبية احتياجات الفلسطينيين، عمدت اللجنة على ملء هذا الفراغ جزئياً من خلال دعم الأونروا ومساعدتها في جمع الأموال المطلوبة".⁷¹ وتضم اللجنة ممثلين عن وزارات العدل والخارجية والدفاع الوطني والشؤون الاجتماعية والعمل والصحة والداخلية إضافة إلى الطاقة والمياه.

ومنذ إنشائها، قامت اللجنة بإنجازات عدّة إذ سعت إلى معالجة وضع نحو 5000 لاجئ (وهم يعرفون بفاقدي الأوراق الثبوتية) يفتقرون إلى وضع رسمي، يعتبرون غرباء غير شرعيين وغير قادرين عملياً على مغادرة المخيمات.⁷² ووفقاً لمسئولة في اللجنة، مُنح أكثر من 1000 شخص بطاقات هوية ونحن في صدد معالجة الحالات المتبقية.⁷³ كما تعمل لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني كوسيط بين السلطات اللبنانية والفلسطينيين لحل مشاكلهم وشكاواهم. وتقول إحدى عضوات اللجنة: "نقوم بالتوسط لدى الجيش بشكل مستمر لتسهيل دخول الناس إلى 'المخيم الجديد' في نهر البارد أو تخفيض إجراءات التفتيش عند بعض الحواجز أو السماح بإدخال مواد البناء إلى المخيمات".⁷⁴ ولأن تغيير القوانين صعب جداً ويأخذ الكثير من الوقت، ركزت اللجنة جهودها على تعديل طرق تطبيق بعض القوانين.⁷⁵ وتقول منسقة مشاريع في اللجنة:

لا يمكننا ببساطة تجاوز القانون الذي يشترط الحصول على إذن لإدخال مواد البناء إلى بعض المخيمات. ولكن هذه العملية كانت في الماضي تستغرق شهوراً عديدة. وبفضل جهود لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني وتدخلها لدى الحكومة والجيش أصبحت العملية اليوم تستغرق نحو 24 ساعة.⁷⁶

كما قامت اللجنة بإطلاق حوار بين الأحزاب السياسية اللبنانية والفلسطينية ومنظمات المجتمع المدني. وقال أحد مستشاري الرئيس "لقد قمنا بتنظيم جلسات حوار واجتماعات وورش عمل وغيرها من النشاطات بهدف تحسين العلاقات بين اللبنانيين والفلسطينيين وبدء محادثات حول القضايا الحساسة مثل: حق العودة والحقوق الاجتماعية والاقتصادية والأمن في المخيمات

⁷⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، زياد الصايغ، مستشار رئيس لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

⁷⁸ انظر موجز لمجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 20، "لبنان أمام مأزق"، 21 كانون الأول/ديسمبر 2006.

⁷⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، خليل مكاي، رئيس لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 18 آب/أغسطس 2008؛ عباس زكي، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، بيروت، 17 آب/أغسطس 2008؛ حسن حدرج، عضو المكتب السياسي لحزب الله والمسؤول عن الملف الفلسطيني، الضاحية الجنوبية لبيروت، 8 آب/أغسطس 2008.

⁸⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، زياد الصايغ، بيروت، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

⁸¹ قال رئيس اللجنة "رغم أن منظمة التحرير الفلسطينية هي السلطة الفلسطينية الشرعية الوحيدة في نظر القانون، لا يمكن للجنة تحقيق أهدافها دون حد أدنى من الاتفاق بين منظمة التحرير والتحالف". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، خليل مكاي، بيروت، 18 آب/أغسطس 2008.

⁸² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نديم شحادة، بيروت، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

⁸³ المرجع نفسه.

⁸⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، سمير أحمد، أمين عام اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين في لبنان، بيروت، 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وأضاف "تريد الحكومة أن تضيع الوقت إذ أنها تنتظر سيقاً

⁷¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، خليل مكاي، بيروت، 18 آب/أغسطس 2008.

⁷² هؤلاء فلسطينيون دخلوا لبنان بين عامي 1970 و1982 ولم يتمكنوا من التسجيل مع الأونروا (التي كانت تسجل فقط لاجئي عام 1948 وعام 1967) ولا مع السلطات اللبنانية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، دلال ياسين، محامية ومنسقة حملة "حق الفلسطينيين في العمل" التي قامت بها جمعية النجدة، بيروت، 2 آب/أغسطس 2008. لمزيد من المعلومات حول هذه الفئة من اللاجئين أنظر "تقرير مسحي عن وضع اللاجئين الفلسطينيين فاقد الأوراق الثبوتية في لبنان"، مجلس اللاجئين الدانمركي، بيروت، 2007، على الموقع www.drc.dk/fileadmin/uploads/pdf/English_site/Lebanon/Non-ID_Refugee_Briefing_Note.pdf.

⁷³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، جوانا نصار، منسقة مشروع في لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

⁷⁴ المرجع نفسه.

⁷⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نديم شحادة، مستشار لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

⁷⁶ وأضافت "بالطبع هذا يتوقف كلياً على الوضع الأمني. فيكفي وقوع حادث أمني واحد حتى نعود إلى نقطة البدء". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، جوانا نصار، بيروت، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

الضعف الأساسية لدى الجيش حين عجز عن التغلب على هذه الجماعة الصغيرة وإن مسلحة بشكل جيد.⁸⁸

أدى الصراع في نهر البارد إلى نتائج كارثية واضحة بالنسبة لسكان المخيم والجيش.⁸⁹ أثرت الأحداث على العلاقات اللبنانية الفلسطينية، ورغم تصريحات المسؤولين اللبنانيين المتكررة الهادفة إلى التفريق بين المجموعة الجهادية واللاجئين،⁹⁰ ألقى كثير من اللبنانيين اللوم على اللاجئين في ظهور هذه الجماعة. ويقول أحد سكان طرابلس في هذا السياق:

لقد نشأت فتح الإسلام في المخيمات. وهناك تمكنت من تجنيد المئات من أعضائها والتسلح والتدريب، وكان كل ذلك على مرأى ومسمع من الفلسطينيين. فلولاً موافقة وتواطؤ سكان المخيم لما استطاعت هذه المجموعة مهاجمة الجيش ولما وقعت الحرب.⁹¹

وبالنسبة للكثيرين، جاءت هذه الأحداث لتؤكد التصور الشائع بأن المخيمات بؤر أمنية رغم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الإيجابية التي كانت يتميز بها سكان نهر البارد مع جواره قبل هذه الحرب. ويعلق مسؤول فلسطيني قائلاً:

قبل النزاع كنا نتمتع بعلاقات ممتازة مع أهالي عكار والضنية وكنا نتشارك حياة اجتماعية وأنشطة تجارية وحتى روابط أسرية. لكن، بعد معركة نهر البارد، تدهورت العلاقات لدرجة أنهم لم يعودوا يرغبون بتأجير الأرض للأونروا من أجل بناء مأوى مؤقتة للمهجرين. وقد قالها أحد المسؤولين اللبنانيين المحليين بصراحة: كل ما تجلبونه لنا هو المشاكل.⁹²

لقد دفعت الاشتباكات مع فتح الإسلام في عام 2007 الجيش اللبناني إلى كسر أحد المحرمات السياسية: فلمرة الأولى منذ الحرب الأهلية دخل الجيش أحد المخيمات حيث قام بعمليات عسكرية كثيفة، وفي بعض الأحيان عنيفة، ساعياً إلى فرض الأمن. وكانت هذه الخطوة مقلقة بالنسبة لحزب الله على وجه الخصوص إذ تشكل سابقة لنزع

⁸⁸ كان المقاتلون مدربين بشكل جيد ومتحمسين للقتال، بينما ضم الجيش مجندون صغار السن يفتقرون إلى الخبرة اللازمة كما نفذت ذخائرهم بعد نحو أسبوع على بدء القتال.

⁸⁹ نتج عن المعركة خسارة كبيرة في الأرواح (47 مدنيًا، 179 من الجنود و226 مقاتلاً من فتح الإسلام)، إضافة إلى تهجير نحو 6000 عائلة وتدمير المنازل والبنية التحتية بما في ذلك ضمن القرى اللبنانية المحيطة بالمخيم. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون، ممثلون عن الأونروا، وسكان المخيم، نيسان/أبريل- أيلول/سبتمبر 2008. أنظر أيضاً "تحد مشترك ومسؤولية مشتركة"، تقرير قدمته الحكومة اللبنانية في مؤتمر الدول المانحة في فيينا، 23 حزيران/يونيو 2008.

⁹⁰ في 5 حزيران/يونيو 2007 قال رئيس الوزراء السنوري "لقد تم تأسيس هذه الجماعة الإرهابية بين الفلسطينيين ولكن ليس لها أي علاقة بهم أو بعاداتهم أو بنمط حياتهم". أنظر: www.pcm.gov.lb/NR/rdonlyres/DF474868-7356-4A60-98F8-F26B51947571/0/200765%.pdf.

⁹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد سكان طرابلس، 15 آب/أغسطس 2008. كما ذكر سابقاً فقد اتهم مصدر في وزارة الدفاع الفلسطينيين بمساعدة مقاتلي فتح الإسلام.

⁹² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو جابر، مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في نهر البارد، مخيم البداوي، 13 نيسان/أبريل 2008.

وبصرف النظر عن الأسباب، ما زال على لجنة الحوار اللبناني- الفلسطيني أن تحقق الكثير من أهدافها المعلنة إذ تركز عملها على إدارة الأزمات الطارئة ما أدى إلى تأجيل القضايا الحساسة والمثيرة للجدل ما دفع فلسطينيون ولبنانيون كثيرون إلى التشكيك بجدوى هذه اللجنة. وكما قال مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية مكلف بملف اللاجئين "منذ تأسيس اللجنة لم تتغير ظروف الفلسطينيين. فلا تزال المخيمات محاصرة بالحواجر، ولا تزال سياسة التمييز والتمييز قائمة".⁸⁵ ولكن، ورغم هذا الوضع، لا شك في أن تأسيس لجنة الحوار اللبناني- الفلسطيني ساعد في إبراز قضية اللاجئين الفلسطينيين وأصبح وجود هذه المؤسسة يذكر على الدوام بالمشكلة القائمة وضرورة العمل على حلها.

3. نهر البارد: الاختبار الصعب

انفجرت اشتباكات عنيفة في أيار/مايو 2007 بين الجيش اللبناني وفتح الإسلام⁸⁶ التي لجأت إلى نهر البارد. وقد بدأ الصراع في شمال لبنان في 20 أيار/مايو عندما واجهت قوى الأمن الداخلي أعضاء في جماعة جهادية يشتبه في سرقتهم أحد المصارف. وسرعان ما امتد القتال إلى طرابلس وعلى مشارف نهر البارد حيث تعرض أفراد من الجيش للهجوم.⁸⁷ وبعد بضعة ساعات، تعرضت دورية من الجيش لكمين في منطقة القلمون على بعد بضع كيلومترات إلى جنوب طرابلس. وفي اليوم نفسه، هز انفجاران العاصمة بيروت. وفي حين استطاع الجيش والقوى الأمن الداخلي السيطرة على المباني التي تموضع فيها بعض المقاتلين في طرابلس، تحول نهر البارد إلى ساحة المواجهة المركزية والتي دامت أكثر من ثلاثة أشهر، برزت خلالها نقاط

إقليمياً ودولياً جديداً. وهكذا تصبح انقساماتنا ذريعة مفيدة لها من أجل إبقاء الوضع على ما هو عليه".

⁸⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، صلاح صلاح، عضو في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس لجنة اللاجئين في المجلس الوطني الفلسطيني، بيروت، 2 آب/أغسطس 2008.

⁸⁶ ما تزال أهداف وجذور فتح الإسلام غير مؤكدة إذ يعتقد بعض المراقبين واللاعبين السياسيين أن الجماعة كانت تسعى إلى تأسيس إمارة إسلامية في الشمال، بينما يدعي أعضاء تحالف 14 آذار وبعض حلفائهم الفلسطينيين أن سوريا كانت وراء هذه المجموعة بهدف زعزعة استقرار لبنان وتقويض المحكمة الدولية. أما حلفاء سوريا اللبنانيين والفلسطينيين فيتهمون المملكة السعودية وتيار المستقبل بدعم فتح الإسلام في محاولة لتشكيل قوة معادية للشريعة وتنفيذ عمليات ضد سوريا. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون ومشايخ لبنانيون وفلسطينيون، بيروت، طرابلس، صيدا، والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-كانون الأول/ديسمبر 2008. يبدو الاحتمال المنطقي أن يكون هدف المجموعة تأسيس قاعدة جهادية في شمال لبنان من أجل تدريب المقاتلين للقيام بعمليات ضد الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية في العراق أو أفغانستان ودول أخرى. ومن الواضح أن فتح الإسلام قد ساءت اللعبة المحلية بمهارة - أقله لفترة من الزمن - محافظة على اتصالات مع طيف واسع من اللاعبين اللبنانيين وإرسالها رسائل إلى جميع الأطراف. أنظر بيرنارد روجيه، "فتح الإسلام: شبكة جهادية في قلب التناقضات اللبنانية" في "ما هي السلفية" (باريس، 2008).

⁸⁷ كان الهجوم دموياً بشكل ملفت وأثار غضباً عارماً في كل لبنان. وأظهرت الصور التلفزيونية جيش جنود قام المقاتلون بذبح أحدهم. ووفقاً لتقارير غير مؤكدة فقد تم قتل الجنود أثناء نومهم.

المتبقي، فالتجأ إلى المخيمات الأخرى.⁹⁸ وتواجه وعود الحكومة اللبنانية المتكررة إعادة إعمار المخيم بتشكيك كبير من قبل سكان نهر البارد السابقين.⁹⁹

قامت الحكومة النمساوية بتنظيم مؤتمر للدول المانحة في حزيران/يونيو 2008 في فيينا،¹⁰⁰ بالتنسيق مع الحكومة اللبنانية والأونروا والبنك الدولي. فُدرت كلفة إعادة بناء المخيم وجواره بنحو 445 مليون دولار،¹⁰¹ لم يجمع منها سوى 120 مليون دولار.¹⁰² ورغم تعهد الدول العربية بتغطية نصف كلفة إعادة الإعمار¹⁰³ إلا أن ذلك لم يترجم عملياً إلى الآن.¹⁰⁴

في النتيجة، أعادت أحداث نهر البارد اللاجئين – وخاصة استخدام الجيش للأسلحة الثقيلة وما نتج عن ذلك من قتل للمدنيين – بالذاكرة إلى أحداثا اليمّة وأحييت لديهم مخاوفاً قديمة إذ شعروا أن عليهم مرة جديدة دفع الثمن لقاء أعمال الآخرين. وهنا يسأل أحد السكان السابقين للمخيم "لو أن فتح الإسلام ظهرت في مكان آخر خارج المخيم، في حي لبناني مثلاً، هل كان الجيش سيتصرف بنفس الطريقة؟ بالطبع لا! لكن عندما يتعلق الأمر بالفلسطينيين فلا بأس في قتلهم وتدمير منازلهم".¹⁰⁵

د. وضع اللاجئين الهش

1. الخوف من التوطين

ينتشر في قلب السياسة اللبنانية تجاه الوجود الفلسطيني معارضة واضحة وصريحة للتوطين إذ يعتبر هذا الرفض المنصوص عليه في مقدمة الدستور كأحد "الثوابت الوطنية". وأكد الرئيس ميشال سليمان في خطاب تنصيبه في 26 أيار/مايو 2008 "رفض لبنان

السلاح. ففي 25 أيار/مايو 2007، وقبل قرار الجيش اقتحام المخيم، اعتبر الأمين العام للحزب حسن نصر الله أن المخيم كما الجيش اللبناني "خط أحمر".⁹³ غير أن الحكومة تجاهلت تحذيراته ووافقت على العمليات العسكرية التي دمرت المخيم بشكل شبه كامل.

شكل نهر البارد اختباراً لقدرة وطريقة تولى الدولة اللبنانية مسؤولية الأمن داخل المخيمات. وقال رئيس لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني موضعاً:

إن الدولة مصممة على عدم السماح لأي فصيل مسلح بالعودة إلى نهر البارد بعد إعادة إعماره وستشكل هذه التجربة نموذجاً تجريبياً. وسنقوم بتأسيس وتدريب قوات أمن داخلي خاصة للتعامل مع الواقع الفلسطيني وحساسياته. وسيكون للفلسطينيين أنفسهم دور فاعلاً في ذلك. علينا جميعاً أن نشعرهم بأن الدولة ليست خصمهم بل هي تحميهم وتهتم بأمنهم.⁹⁴

حتى الآن، جاء تقييم تلك التجربة متبايناً في أحسن الأحوال إذ تسببت العمليات العسكرية الواسعة – والعنيفة في بعض الأحيان – في تعميق انعدام ثقة الفلسطينيين بالدولة اللبنانية دون أن تعزز الإيمان بقدرات وفعالية الجيش. استمر القتال لأشهر عدة وأدى إلى مقتل 47 مدنياً وتدمير كبير للبنية التحتية والمنازل في المخيم. وزاد من ضغينة الفلسطينيين قيام بعض عناصر الجيش بالسرقة والتخريب المجاني دون معاقبتهم،⁹⁵ مظهرين الاحتقار لسكان المخيم.⁹⁶ كما هُجّر نحو 30,000 شخص على غالبيتهم أن يبحثوا الآن عن سبل لسد احتياجاتهم بينما تقوم الأونروا والمنظمات غير الحكومية الإنسانية بتأمين حاجات الأوفر حظاً بينهم.

لقد خسر لاجئو نهر البارد كل شيء. وبعد مرور أكثر من سنة على انتهاء المعارك ما يزال وضعهم هشاً جداً إذ أنهم يفتقرون لمصادر الدخل، ولم ينتقل إلى "المخيم الجديد" سوى 10,000 منهم.⁹⁷ وفي هذا المخيم الجديد، تتجمع الأسر في مساحات صغيرة جداً ويعيش اللاجئون في مساكن مؤقتة ويخضعون إلى إجراءات أمنية صارمة عند مداخل المخيم الأربعة، بينما يستمر بقاء الأغلبية في ملاجئ مؤقتة في مخيم البداوي وعلى أطرافه. أما العدد القليل

⁹⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤول في الأونروا، 5 كانون الأول/ديسمبر 2008.

⁹⁹ اتضح ذلك في أحد الاجتماعات الشعبية نظمها الأونروا ولجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني تحدث خلاله عدد من السكان السابقين في نهر البارد.

مخيم البداوي، 18 تموز/يوليو 2008.

¹⁰⁰ يعرف رسمياً باسم "مؤتمر الدول المانحة من أجل إعادة تأهيل وإعمار مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين والمناطق المتأثرة بالصراع في شمال لبنان".

¹⁰¹ "تحد مشترك ومسؤولية مشتركة" المرجع المذكور سابقاً.

¹⁰² الجزيرة 24 حزيران/يونيو 2008.

¹⁰³ المرجع نفسه. أعلن رئيس الوزراء السنيرة خلال المؤتمر أن أربع دول خليجية وعدت بتغطية نصف كلفة إعادة الإعمار لكن حتى يومنا هذا لم يتعهدوا رسمياً بالقيام بذلك. أنظر "ذا دايلي ستار"، 18 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁰⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون في لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، تشرين الأول/أكتوبر- تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وقد أدت الأزمة المالية العالمية الراهنة إلى إضعاف الأمل بشكل أكبر في إمكانية الوفاء بهذه التعهدات. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، محلل فلسطيني، بيروت، 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁰⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أحد سكان مخيم نهر البارد السابقين، مخيم البداوي، آب/أغسطس 2008.

⁹³ مقتطفات من خطاب الأمين العام لحزب الله متوفر على الموقع www.palestine-studies.org/files/wasaek/7476.doc

⁹⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، خليل مكاوي، رئيس لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 18 آب/أغسطس 2008.

⁹⁵ رداً على اتهامات النهب والتخريب أكد مسؤول عسكري رفيع المستوى أن الجيش قد بدأ تحقيقاً في الموضوع وادعى أن معظم هذه الأعمال قام بها أعضاء من فتح الإسلام. اتصالات قامت بها مجموعة الأزمات عبر البريد الإلكتروني، كانون الأول/ديسمبر 2008.

⁹⁶ يقول أبو جابر، مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في نهر البارد: "لم تكن نريد أن نعارض الجيش، وكان المسؤولون الفلسطينيون في المخيم قد وافقوا على العمليات العسكرية. ولكن من غير المقبول أن يقوم الجنود اللبنانيون بحرق ونهب منازلنا. إنه أمر مخز. حتى الجنود الإسرائيليون لم يقوموا بمثل هذه الأعمال". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مخيم البداوي، 13 نيسان/أبريل 2008.

⁹⁷ كما شرحنا سابقاً، يتألف نهر البارد من قسمين: القسم الأول الذي تعترف به الأونروا رسمياً ومعروف باسم "المخيم القديم" دمر بالكامل. أما "المخيم الجديد" غير الرسمي فقد دمر بشكل جزئي فقط.

كما تم استخدام قضية التوطين في المعركة التي دارت بين الرئيس اللبناني حينذاك إميل لحود ورئيس الوزراء الحريري. فقد كانت الأطراف الداعمة للحود ومنها سوريا تقدم هذا الأخير على أنه السد المنيع في وجه خطة الحريري المزعومة لتوطين اللاجئين. وهكذا طرحوا تجديداً ولايته في عام 1998 (المخالفة للدستور) على أنه أمر ضروري من أجل إحباط التهديد المتمثل في توطين الفلسطينيين. ويؤكد مصطفى علوش، النائب في البرلمان عن تيار المستقبل أن "سوريا استخدمت التوطين لإخافة الناس ومنع أي تقارب سني-مسيحي".¹¹³

وبشكل عام فإن المسيحيين هم الأكثر قلقاً من هذا الموضوع إذ يخشى الكثير منهم أن يخلّ توطين اللاجئين – الذين يشكلون نحو 10 بالمائة من عدد سكان لبنان¹¹⁴ - التوازن الديمغرافي ويرجح الكفة بشكل حاسم لمصلحة المسلمين (السنة). واليوم يعد التيار الوطني الحر بقيادة عون الطرف الأكثر صراحةً وعلاويةً في التعبير عن هذه المخاوف. وقد بلغ الأمر بأحد نواب كتلته في البرلمان أن يطالب "جميع المسيحيين بمواجهة التوطين، لأن المسيحيين وحدهم هم من سيدفع ثمنًا باهظاً... ما الذي قام به سياسيوننا في ربع القرن الأخير غير تشجيعهم على هجرة الأدمغة بين المسيحيين؟ إن هذه سياسة يتم الإعداد والتحضير لها من أجل تهديد الطريق أمام التوطين".¹¹⁵

وعلى الرغم من أن القوى المسيحية في تحالف 14 آذار تعارض التوطين بنفس الدرجة، إلا أنها تبنت مؤخراً لغة أقل تحريضاً. فهم يعتبرون هذه القضية مفتعلة إلى حد كبير لأن لا اللبنانيون ولا الفلسطينيون يريدون التوطين ويرون أن هذه المشكلة تم خلقها من قبل المعارضة بغية تشتيت الانتباه عن المشاكل الحقيقية القائمة اليوم والمتمثلة في سلاح حزب الله والعلاقة مع سوريا.¹¹⁶ وتجسد هذا الموقف القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع والتي كانت خاضت معارك دامية مع الفلسطينيين خلال الحرب الأهلية إذ يقول مدير مكتب الرئيس في القوات اللبنانية "ليست هذه مشكلة حقيقية. فلا أحد يريد التوطين والذين يطرحون هذه المشكلة بشكل مهووس يسعون إلى تشتيت انتباه العامة. أضف إلى ذلك أنهم يثيرون خطر توتر العلاقات مع اللاجئين".¹¹⁷ كما قام حزب الكتائب بقيادة أمين الجميل – والذي قاتل الفلسطينيين أيضاً في السبعينات والثمانينات - بتنظيم لقاء "المصراحة والمصالحة" ضم مسؤولين سياسيين

المرسوم في السجلات السياسية واستخدامه من قبل أطراف متعددة، فهو لم يكن تكتيكاً سورياً موظفاً ضد الحريري ولا حيلة استخدمها الحريري للترويج للتوطين. فبحلول عام 1994 كان هناك الآلاف من طلبات الجنسية المتراكمة والتي تم تأخيرها بسبب الحرب الأهلية. لذا جاء هذا المرسوم لينظم وضع بضعة آلاف من الأفراد". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.¹¹³ مصطفى علوش، نائب في البرلمان عن تيار المستقبل، طرابلس، 4 آب/أغسطس 2008.

¹¹⁴ www.un.org/unrwa/refugees/lebanon.html
¹¹⁵ أنظر خطاب نبيل نقولا وهو نائب في البرلمان عن كتلة عون على الموقع <http://vcoders.org/forum/showthread.php?t=32967>
¹¹⁶ يمكن الاطلاع على خطابات مسؤولي القوات اللبنانية والكتائب على الموقع www.aminegemayel.org و www.lebanese-forces.org
¹¹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، إيلي براغيد، معراب، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

القاطع للتوطين".¹⁰⁶ كما كرر البيان الوزاري هذا الموقف مؤكداً على "تصميم الحكومة تطوير المفاهيم والأفكار اللازمة لتعزيز رفض لبنان للتوطين. كما تعتبر الحكومة أعضاء المجتمع الدولي جميعهم مسؤولين عن عدم العودة للاجئين إلى موطنهم".¹⁰⁷

والمفارقة أنه، رغم الإجماع اللبناني، ليس هنالك تعريف واضح متفق عليه للتوطين إذ يساوي بعض المسؤولين اللبنانيين بينه وبين الإقامة الدائمة في لبنان بصرف النظر عن حصول اللاجئين على الجنسية.¹⁰⁸ بينما يعتقد آخرون أن العنصر الأساسي للتوطين يرتبط باكتساب المواطنة – ويتبع ذلك التمتع بحق التصويت.¹⁰⁹ وقامت مختلف الأطراف اللبنانية باستغلال هذا الغموض والتلاعب بالمفهوم لأغراض سياسية.¹¹⁰ ولا يغزي موضوع التوطين السجلات الداخلية فحسب بل أيضاً الخلافات الفلسطينية والتوترات الإقليمية.

ويرى بعض اللبنانيين إلى اللاجئين أنهم أداة محتملة لتشكيل قوة ديمغرافية، وربما عسكرية، سنية يمكن استخدامها في الساحة الداخلية. في الواقع، كان يُشار إلى الفلسطينيين خلال الحرب الأهلية بـ "جيش السنة في لبنان". ويعترف مدير مكتب الرئيس في تيار المستقبل، نادر الحريري، بأنه "تاريخياً، دعم المسلمون السنة في لبنان الفلسطينيين وأيدوا كفاحهم المسلح ضد إسرائيل من الأراضي اللبنانية. إلا أن الوضع اليوم قد تغير، فهذا الموقف كان خاطئاً وتسبب بإضعاف لبنان".¹¹¹ لكن الخلافات استمرت في هذا الشأن حتى بعد انتهاء الحرب الأهلية فحين منحت الحكومة برئاسة رفيق الحريري عام 1994 الجنسية إلى بضعة آلاف من الفلسطينيين والسوريين، رأى معارضو رئيس الحكومة الأسبق هذا القرار كمحاولة لزيادة عدد الناخبين السنة في بيروت والجنوب.¹¹²

¹⁰⁶ أنظر النص الكامل لخطاب تنصيب ميشال سليمان على الموقع www.psp.org.lb/Default.aspx?tabid=156&articleType=ArticleView&ArticleId=13152

¹⁰⁷ يمكن الاطلاع على البيان الوزاري في جريدة "النهار"، 6 آب/أغسطس 2008.

¹⁰⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، غسان مخيبر، نائب عن كتلة الإصلاح والتغيير العنوية، بيروت، 1 آب/أغسطس 2008.

¹⁰⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مصطفى علوش، نائب عن تيار المستقبل، طرابلس، 4 آب/أغسطس 2008؛ خليل مكاي، رئيس لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 18 آب/أغسطس 2008.

¹¹⁰ عادة ما كان يستغل هذا الغموض من أجل تبرير اتخاذ إجراءات محففة بحق الفلسطينيين مثل قانون التملك. أنظر القسم ثانياً، د. 2 لاحقاً.

¹¹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نادر الحريري، بيروت، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹¹² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، صحافي لبناني، 8 أيلول/سبتمبر 2008. وقد كرر هذا الاتهام عدد من الزعماء السياسيين الفلسطينيين واللبنانيين. ورداً على ذلك اعتبر مصطفى علوش، وهو نائب في البرلمان عن تيار المستقبل، أن سوريا فرضت القرار على الحريري من أجل تشويه سمعته. وقال إن القرار يمثل "محاولة سورية للإضرار بالسنة وبالحريري بشكل رئيسي. لقد اتخذ هذا القرار في حقبة الهيمنة السورية: لذا فهو قرار سوري نسبه دمشق إلى السنة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، طرابلس، 4 آب/أغسطس 2008. كما أكد مسؤول آخر في تيار المستقبل أنه: "في 80 بالمائة من الحالات كان القرار مبرراً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نادر الحريري، مدير مكتب الرئيس في تيار المستقبل، بيروت، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وربما كان الرأي الذي قدمه نديم شحادة هو الأكثر إقناعاً حين شرح أنه "رغم استعمال

لبنانيين وممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية في 13 نيسان/أبريل 2008.¹¹⁸

ولكن، مع اقتراب الانتخابات النيابية، عاد موضوع التوطين ليبرز من جديد كأداة تنافس بين مختلف التيارات المسيحية إذ يسعى كل منها لإثبات أنه أشد المعارضين شراسة لتوطين اللاجئين. انتقد على سبيل المثال الجميل في تشرين الثاني/نوفمبر 2008 حركة فتح بسبب تنظيمها عرضاً عسكرياً معبراً عن "مخاوفه من توطين الفلسطينيين في لبنان رغم كل القرارات الدولية وقرارات الجامعة العربية".¹¹⁹

من جهته، يقدم حزب الله معارضته للتوطين من باب الدفاع عن حق عودة الفلسطينيين إلى موطنهم لا على أنها مشكلة ديمغرافية أو عبء فلسطيني. ويقول حسن حدج المكلف الملف الفلسطيني في الحزب:

أي بديل عن عودة اللاجئين هو تعدي على حقهم الطبيعي. موقفنا نابع من فهمنا لطبيعة الصراع ضد إسرائيل. إن خطر التوطين حقيقي وليس مجرد شعار وهو أحد الأخطار الإسرائيلية، مدعومة من الولايات المتحدة، المدققة في المنطقة. تكمن المشكلة في أن بعض الأطراف العربية والفلسطينية واللبنانية تخلت عن حق العودة، الذي هو حق فلسطيني مقدس. وليس لموقفنا أي علاقة بالحسابات الطائفية فلا تقلقنا حقيقة أن أكثرية الفلسطينيين هم من السنة إذ نحن وإياهم متحدون في قتالنا ضد إسرائيل".¹²⁰

ورغم ذلك يرى الكثيرون أن موقف حزب الله يعكس اعتبارات مذهبية خاصة في ظل الاستقطاب الكبير اليوم بين السنة والشعبة إذ تعيش أغلبية الفلسطينيين في جنوب لبنان وفي الضاحية الجنوبية لبيروت حيث تتواجد أكثرية شيعية. وذلك، فإن توطينهم في نهاية الأمر سيؤدي إلى تغيير الخارطة الديمغرافية. وبحسب عضو في البرلمان عن كتلة عون فإن "التوطين ليس مصدر قلق للمسيحيين وحدهم. فهو يخيف الشيعة أيضاً حيث سيكون له الأثر الأكبر في الجنوب، هذا ما يفسر معارضة حزب الله الشديدة له".¹²¹

وتتخذ الكتلة الشيعية الأخرى، حركة أمل، موقفاً مشابهاً وإن كان أكثر صراحة في ما يتعلق بالجانب الديمغرافي. وقد أوضح ذلك عضو المكتب السياسي في الحركة:

رفض التوطين ضمانته لتطبيق قرار للأمم المتحدة رقم 194 [حول حق العودة]. وفي حين يرى قسم من المسؤولين الفلسطينيين واللبنانيين والإدارة الأمريكية إلى قضية اللاجئين على أنها مجرد مشكلة مالية يمكن حلها من خلال التعويضات إلا أن المشكلة الحقيقية هي سياسية بالدرجة الأولى ومرتبطة بالنضال ضد إسرائيل. كما أن للوجود الفلسطيني تبعات ديمغرافية تؤثر على التوازن الطائفي في بلدنا.¹²²

أما المسؤولون السنة، يكذبون بسرعة اتهامهم بمحاولة تحقيق مكاسب ديمغرافية من خلال الوجود الفلسطيني. وفي هذا السياق قال مدير مكتب الرئيس في تيار المستقبل:

بسبب انتمائه للمذهب السني، كان على رفيق الحريري دائماً إثبات حسن نيته في ما يتعلق بالموضوع الفلسطيني إذ صوّت النواب التابعين لتيار المستقبل مع قانون التملك الجائر.¹²³ بحق الفلسطينيين خشية أن يُتهموا بالترويج للتوطين. ومؤخراً، وقع نواب 14 آذار على عريضة تنص على استحالة التوطين ما لم يصوت عليها بالإجماع أعضاء مجلس النواب جميعاً.¹²⁴ هذه طريقتنا لقطع الطريق أمام كل من يتهمن بالتوطين.¹²⁵

أما على الجانب الفلسطيني، تؤكد كل الفصائل وتتوحد في رفضها القاطع للتوطين الأمر الذي أوضحه الرئيس محمود عباس في زيارته إلى لبنان في آب/أغسطس 2008 حين قال: "يمتلك الفلسطينيون حق العودة، ونحن نناقش ذلك مع الإسرائيليين. ونحن نعارض توطين الفلسطينيين في لبنان".¹²⁶ إلا أن هذا لم يمنع استخدام القضية في الخلافات الفلسطينية- الفلسطينية إذ يتهم معارضو حركة فتح قادتها بالتنازل عن حق العودة وبالبحث عن بدائل لهذا الحق بما في ذلك التوطين.¹²⁷ وقد قال أحد زعماء الفصائل "لا يمكن الحديث عن تسوية للقضية الفلسطينية، بل عن الاستسلام. فكل ما يفعله محمود عباس هو تقديم مزيد من التنازلات للإسرائيليين. وسياسة عباس زكي في لبنان هي استمرار لهذا النهج".¹²⁸ كما

¹²² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، محمد خواجه، بيروت، 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. إن علاقة أمل مع اللاجئين معقدة، فما تزال ذكريات حرب المخيمات قائمة. أنظر الحاشية 9 والقسم ثانياً. أ أعلاه. ولكن مع ذلك يؤكد خواجه أن "حرب المخيمات أصبحت وراعنا. ونحن اليوم نتمتع بعلاقات ممتازة مع كل من منظمة التحرير الفلسطينية وفصائل التحالف. وقد كان نبيه بري رئيس حركة أمل ورئيس مجلس النواب وسيطاً بين الفصائل الفلسطينية غير مرة".

¹²³ أنظر القسم ثانياً. د. 2 أدناه.
¹²⁴ أنظر الموقع www.nowlebanon.com/NewsArticleDetails.aspx?ID=66691.

¹²⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نادر الحريري، بيروت، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹²⁶ أنظر الموقع http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/7586360.stm

¹²⁷ وهم يشيرون بالتحديد إلى عدد من الاتفاقات الإسرائيلية-الفلسطينية غير الرسمية تلغى عملياً حق العودة، مثل اتفاقية جنيف. أنظر تقرير مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 22، "اللاجئون الفلسطينيون وسياسة صنع السلام"، 5 شباط/فبراير 2004؛ وصلاح صلاح، "أوراق فلسطينية عن حق العودة ومنظمة التحرير وأوسلو" (دمشق، 2008).

¹²⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو خالد الشمال، ممثل جبهة النضال الشعبي الفلسطيني في لبنان، مخيم شاتيلا، 6 نيسان/أبريل 2008. كما تتبنى

¹¹⁸ في تلك المناسبة قال الجميل "تغيير موقفنا تماماً بالنسبة إلى الوجود الفلسطيني في لبنان، طالما أنهم يحترمون سيادة لبنان ويلتزمون بقوانيننا". الخطاب على الموقع www.kataeb.org/pictures/files/News0_5119745mousara7a_mousala7a.pdf.

¹¹⁹ www.nowlebanon.com/NewsArticleDetails.aspx/ID66488 وقد شارك المسؤولون الفلسطينيون نظرانهم اللبنانيين في الخوف من أن يستخدم المسيحيون في انتقالي الأكثرية والمعارضة هذه القضية في حملاتهم الانتخابية. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت والمخيمات الفلسطينية، أيلول/سبتمبر-تشرين الثاني/نوفمبر 2008

¹²⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، حسن حدج، الضاحية الجنوبية لبيروت، 8 آب/أغسطس 2008.

¹²¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، غسان مخيبر، نائب في البرلمان عن كتلة الإصلاح والتغيير التابعة للجنرال عون، بيروت، 1 آب/أغسطس 2008.

توطين من يبقى منهم، ولن يكون بإمكان لا اللبنانيين ولا الفلسطينيين منع ذلك.¹³²

2. التهميش

لا يتمتع اللاجئون الفلسطينيون في لبنان بوضع قانوني واضح. وفي عام 1987 في ظل الرئيس أمين الجميل، قام مجلس النواب اللبناني بإلغاء اتفاق القاهرة الذي كان يحكم العلاقات اللبنانية-الفلسطينية، دون أن يتم استبداله إلى الآن. وبدلاً منه، أصبح وضع اللاجئين ينظم من خلال مجموعة قوانين وإجراءات أمر واقع تحد من حقوقهم بشكل كبير الأمر الذي يؤكد أحد أعضاء البرلمان: "تهدف سياستنا الرسمية إلى إبقاء الفلسطينيين في وضع هش وغير مستقر بهدف تقليص احتمال توطينهم أو بقائهم في لبنان ما يفسر سياسة الدولة اللبنانية والإجراءات الاقتصادية والأمنية المتبعة. ويبقى التحدي الحقيقي اليوم في كيفية الموازنة بين رفض التوطين وضرورة منح الفلسطينيين حقوقهم وتحسين ظروف حياتهم".¹³³

إن الدولة اللبنانية غائبة بشكل شبه كلي من المخيمات الأمر الذي يبرره الوجود المؤقت المفترض للاجئين. وعليه، لم تقم الدولة بأي شيء فعلي لتلبية احتياجات المخيمات الأساسية. وسعت الأونروا وعدد من المنظمات الإنسانية المحلية والدولية إلى ملء هذا الفراغ، لكن يبقى مستوى عيش اللاجئين كارثياً وذلك باعتراف وكالة الأمم المتحدة¹³⁴ والحكومة اللبنانية.¹³⁵ وتهتم الأونروا بالتعليم الابتدائي والثانوي إلا أن المدارس تعاني نظاماً تعليمياً بدائياً وافقارها الموارد البشرية والمالية، إضافة إلى تداعي البنية التحتية والتجهيزات وازدحام الصفوف الشديد. كما تؤدي نسب التسرب المدرسي المرتفعة وعدم توافر التقنيات والمهارات والخبرات التعليمية اللازمة (إضافة إلى القيود كبيرة المفروضة على سوق العمل الميمنة لاحقاً) للحد من قدرة اللاجئين على إيجاد مهن مناسبة، ما يدفع بالكثيرين للجوء إلى أعمال وضيعة.¹³⁶

يعبر ممثل حركة حماس في لبنان عن "الخلاف الاستراتيجي مع منظمة التحرير الفلسطينية حول هذا الموضوع. تريد منظمة التحرير تغيير الوضع القانوني للفلسطينيين من 'لاجئين' إلى 'جالية'". وهذه خطوة أولى نحو التوطين والتهجير الجبري، فالتخلي عن حالة اللجوء يعني التخلي عن حق العودة".¹²⁹

وقد أثارت سوريا في الماضي شبح التوطين بشكل متكرر متهمة منظمة التحرير بالتخلي عن حق العودة وعقد صفقة إسرائيلية-فلسطينية منفصلة. ويقول عضو سابق في حركة فتح (لبناني):

استغلت سوريا هيمنتها على لبنان من أجل منع منظمة التحرير الفلسطينية من القيام بأي نشاط سياسي أو دبلوماسي. وقدمت نفسها على أنها المدافع الحقيقي عن القضية الفلسطينية وعن حق العودة، متهمة المنظمة مراراً بالخيانة والاستسلام.¹³⁰

ورغم رفض أغلبية اللاجئين الفلسطينيين في لبنان للتوطين إلا أن الأمل في العودة يتضاءل أكثر فأكثر، معبرين عن خشيتهم من أن تكون قضيتهم ضحية مفاوضات إسرائيلية-فلسطينية.¹³¹ وقد عبر أحد القادة الفلسطينيين عن هذا التوجه الذي يشاركه فيه الكثيرون:

لا يمكن أن تقبل إسرائيل بعودة آلاف الفلسطينيين، ذلك يشكل تهديداً لوجودها. وتتم الآن دراسة عدد من الاقتراحات لحل هذه المشكلة بما فيها توطين أعدادٍ من اللاجئين في الدول المضيفة وفي دول عربية أخرى وتهجيرهم إلى دول أوروبية. أما في لبنان سيستمر الضغط على اللاجئين لحثهم على الهجرة وسنقوم الولايات المتحدة وإسرائيل، عاجلاً أم آجلاً، بفرض

منظمات أخرى في التحالف ومجموعات إسلامية أخرى موقفاً مشابهاً. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008.

¹²⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أسامة حمدان، الضاحية الجنوبية لبيروت، 28 نيسان/أبريل 2008. يعبر حمدان عن وجهة نظر منتشرة بين المسؤولين واللاجئين الفلسطينيين ترى أن الوضع القانوني للفلسطينيين كلاجئين يعني أن المشكلة لم تُحل. وعليه، يجب الإبقاء على المخيمات وعلى حق الفلسطينيين في النضال من أجل عودتهم. أما تحويل اللاجئين إلى 'جالية' فيشير إلى دمج المجتمع الفلسطيني في الدول المضيفة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤول العلاقات العامة والشؤون السياسية، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، 5 كانون الأول/ديسمبر 2008.

¹³⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مقاتل لبناني سابق وعضو في حركة فتح، بيروت، 4 أيار/مايو 2008.

¹³¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، سكان المخيمات الفلسطينية في البداوي وشاتيلا وعين الحلوة وبرج البراجنة، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008. أنظر أيضاً تقرير مجموعة الأزمات، "اللاجئون الفلسطينيون وسياسة صنع السلام"، المصدر المذكور سابقاً. وبحسب أحد الاستطلاعات فإن 79.6 في المئة من المستطلعين قالوا أنهم يريدون العودة إلى قراهم الأصلية الواقعة اليوم في إسرائيل، وأبداوا 5.4 في المئة فقط رغبتهم في الاستقرار في الضفة الغربية وقطاع غزة، بينما قالوا 6.6 في المئة أنهم يقبلون توطينهم في لبنان. أنظر محسن صالح، "الآراء السياسية للاجئين الفلسطينيين في لبنان"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، أيار/مايو 2006. أنظر أيضاً الاستطلاع الذي أجراه المركز الفلسطيني للدراسات السياسية والإحصائية على الموقع www.pcpsr.org/arabic/survey/polls/2003/reftable4.html

¹³² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو خالد الشمال، ممثل جبهة النضال الشعبي الفلسطيني في لبنان، مخيم شاتيلا، 6 نيسان/أبريل 2008.

¹³³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، غسان مخيب، بيروت، 1 آب/أغسطس 2008.

¹³⁴ إن مخيمات الفلسطينيين في لبنان "تعاني من مشاكل خطيرة: فلا توجد بنية تحتية جيدة وينتشر في المخيمات الفقر والبطالة والازدحام الشديد. تتواجد في لبنان أعلى نسبة من اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في فقر مدقع والذين هم مسجلون ضمن "برنامج الحالات الخاصة". يشمل عمل الأونروا سوريا والأردن والأراضي المحتلة. www.un.org/unrwa/refugees/lebanon

¹³⁵ "تعترف أن اللاجئين الفلسطينيين يعيشون في ظل ظروف حياتية صعبة جداً وغير مقبولة... بدأنا بطي صفحة ماضٍ أليم زاخر بأخطاء ارتكبتها الأطراف كافة ودفع اللبنانيون والفلسطينيون على حد سواء ثمنها غالياً". خليل مكاي، "حقبة جديدة"، "شركاء في المسؤولية"، المصدر المذكور سابقاً.

¹³⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، طلاب وأهالي وناشطون اجتماعيون، المخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008. ووفقاً لإحدى الدراسات فإن أهالي الطلاب الفلسطينيين في المخيمات هم أفضل تعليماً من أطفالهم الذين يفقدون عموماً إلى الدافع للتعليم بسبب انسداد أفق العمل. "الظروف المعيشية للاجئين الفلسطينيين في المخيمات والتجمعات في لبنان"، فافو، شباط/فبراير 2000.

إلى الإبقاء على الوضع الهس وغير المستقر للاجئين. ووفقاً للأونروا، تتجاوز نسبة البطالة بين سكان المخيمات 60 بالمئة.¹⁴¹

وفي عام 2001، صوت البرلمان اللبناني على تعديل قانون حق التملك منع بموجبه تملك العقارات من قبل "أي شخص ليس مواطناً في دولة معترف بها أو ... في حال كان هذا الامتلاك يتعارض مع المبدأ الدستوري المتعلق برفض التوطين".¹⁴² ورغم غموض هذه العبارة، فلا شك في الجهة المقصودة بها (الفلسطينيون). كما أنه، وبموجب هذا التعديل، مُنعت الفلسطينيين من توريث العقارات التي كانوا قد استملكوها قبل 2001.¹⁴³

كما يواجه الفلسطينيون قيوداً أخرى. فمن الناحية القانونية لا يحق لهم تشكيل جمعيات. أما عملياً، عمد عدد من المنظمات العاملة إلى تسجيلها تحت أسماء لبنانية، أما الكثير منها فبقي غير مسجل.¹⁴⁴ وتقوم نقاط التفتيش التابعة للجيش بمراقبة مداخل بعض المخيمات في الجنوب، ومؤخراً عند مداخل "المخيم الجديد" في نهر البارد. ويشعر سكان المخيمات بامتعض شديد بسبب التدقيق في الهويات وتفتيش السيارات. وتقول إحدى الناشطات الفلسطينيات "تهدف نقاط التفتيش هذه إلى احتجازنا داخل المخيمات. وهي تضر بالحياة الاقتصادية للمخيمات كما تدفع الكثيرين للحد من تحركاتهم خارج المخيمات تجنباً لإجراءات التفتيش والمراقبة".¹⁴⁵

ورغم إقرار جميع الأحزاب السياسية في لبنان دعمهم القوي لضرورة تحسين الظروف المعيشية للاجئين ومنحهم الحقوق الأساسية،¹⁴⁶

وبخلاف المواطنين اللبنانيين، لا يتمتع الفلسطينيون بالرعاية الطبية المجانية أو الضمان الاجتماعي، موظفون كانوا أم لا. وقد قامت الأونروا ومنظمات غير حكومية مختلفة بسد هذا الفراغ وتولي مسؤولية الرعاية الصحية. لكن بدائية البنية التحتية والتجهيزات أثرت بشكل كبير على جودة الخدمات الصحية والطبية التي تعاني بدورها تدن في المستوى.¹³⁷

أما على صعيد حق العمل، فرض على اللاجئين قيود متشددة في سوق العمل.¹³⁸ وعادة ما يعطل المسؤولون اللبنانيون السياسة تلك بأسباب اقتصادية وحاجة حماية العمالة اللبنانية،¹³⁹ إلا أن هذه التبريرات مشكوك بصحتها. ويقول الخبير الاقتصادي كمال حمدان:

في غياب إحصاء موثوق يمكننا أن نقدر عدد الفلسطينيين الذين هم في سن العمل بما يقرب من 50,000 أي نحو 5 في المئة من عدد السكان الفاعلين في لبنان. وإذا ما أعطينا للاجئين حرية العمل، سيكون تأثيرهم الاقتصادي صغير جداً، خاصة وأن 30 بالمئة منهم يعملون في مؤسسات تديرها الأونروا أو منظمة التحرير الفلسطينية وغيرها من المنظمات الفلسطينية.¹⁴⁰

كما أن العمال الأجانب من غير الفلسطينيين يواجهون قيوداً أقل صرامة في العمل ما يدل على أن الأسباب الحقيقية لهذه التمييز هي سياسية لا تهدف إلى حماية العمال اللبنانيين بقدر ما تهدف

¹³⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، سكان وناشطون اجتماعيون، المخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008.

¹³⁸ أعطى مرسوم صادر في أيلول 1962 لوزير العمل الحق في وضع قائمة بالمهن التي تقتصر على المواطنين اللبنانيين فقط. وقبل عام 2005 كان الفلسطينيون ممنوعين من ممارسة نحو 70 مهنة. وتم تخفيض هذا العدد إلى نحو عشرين بموجب مذكرة صادرة عن وزير العمل في عام 2005 طراد حمادة المقرب إلى حزب الله. ولكن رغم ذلك ما تزال الكثير من المهن ممنوعة على الفلسطينيين بما في ذلك الصيدلة والطب والهندسة والقانون. ويقول كثير من الفلسطينيين أن التخفيض الذي تم قد قام فعلياً بتشريع وضع موجود سابقاً، حيث أنهم كان بإمكانهم في السابق العمل بشكل غير رسمي في كثير من تلك المجالات. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان مخيمات فلسطينية، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008. ويقول أحد الخبراء "لقد كان هذا المرسوم مهماً ليس من ناحية قيمته الاقتصادية بقدر ما هو مهم من الناحية السياسية. فقد أعطى الحقوق للفلسطينيين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال حمدان، رئيس القسم الاقتصادي في معهد الدراسات والأبحاث، بيروت، 7 آب/أغسطس 2008. كما يواجه الفلسطينيون صعوبات أخرى في الدخول إلى سوق العمل، وبالتحديد صعوبات في الحصول على إذن بالعمل. أنظر جابر سليمان، "مسائل قانونية تحكم حق الفلسطينيين بالعمل والضمان الاجتماعي"، ملاحظة في بيان صادر عن لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، 3 نيسان/أبريل 2008.

¹³⁹ أنظر تقرير مجموعة الأزمات، "لبنان: إدارة العاصفة المتجمعة"، المصدر المذكور سابقاً، صفحة 5.

¹⁴⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال حمدان، بيروت، 7 آب/أغسطس 2008. وقد كرر هذه النقطة الصحافي والمحلل الفلسطيني صقر أبو فخر: "إن قوة العمل الفلسطينية واللبنانية تكملان بعضهما. فلا يزيد عدد العمال الفلسطينيين على 50,000. ومعظمهم يعمل في البناء والزراعة ومحطات الوقود والمخازن أو في صيد الأسماك أو مستخدمين على الأبواب... أي أنهم لا يتنافسون مع قوة العمل اللبنانية" "السفير"، 20 كانون الثاني/يناير 2006.

¹⁴¹ ريتشارد كوك، "المخيمات واللاجئون الفلسطينيون في لبنان: الأولويات والتحديات والفرص المستقبلية"، محاضرة قدمت في الجامعة الأمريكية في بيروت، 21 أيار/مايو 2008.

¹⁴² كان التعديل للمرسوم رقم 11614. أما قبل عام 2001 فإن القانون عندها لم ينكر أي شيء محدد عن الفلسطينيين والذين كان بإمكانهم عندها شراء العقارات.

¹⁴³ في البداية كان من المفترض أن يتم تعديل القانون لتشجيع الاستثمارات الأجنبية. إلا أن عدداً من النواب المسيحيين والشيعة أبدوا مخاوفهم من أن التعديلات المقترحة (مثل الإعفاء من الضرائب وأساليب لتسهيل التسجيل) تمهد للتوطين. فعلى سبيل المثال ينظر كثير من اللبنانيين إلى الحق بشراء عقار على أنه الخطوة الأولى نحو الإقامة الدائمة. وقد حذر جبران باسيل وهو أحد النواب العونيين من خطر السماح للأجانب شراء أرض لبنانية باعتبار أن "الفلسطينيين قد خسروا بلدهم لأنهم باعوا أرضهم لليهود". مؤتمر صحفي، 10 أيلول/سبتمبر 2008. ونتيجة لذلك فقد تمت إضافة قيود التملك من أجل احتواء هذه المخاوف. أنظر "تقرير عن الجلسة البرلمانية العادية الأولى"، 20-21 آذار/مارس 2003، www.lp.gov.lb/NF_20Archive/hai2a_3amma/jalsat%20tachri3iya/jalsa2001/jalsat20-21-3-2001.htm

¹⁴⁴ يشكو الفلسطينيون أن هذا يقيد من حقهم في حرية تشكيل الجمعيات ويضعف جودة عملهم. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، جابر سليمان، باحث واستشاري فلسطيني مستقل، مخيم مار إلياس، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. لمزيد من المعلومات أنظر جابر سليمان، "الفلسطينيون في لبنان ودور المنظمات غير الحكومية"، "صحيفة دراسات للاجئين"، المجلد 10، رقم 3 (أيلول/سبتمبر 1997).

¹⁴⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، دلال ياسين، محامية ومنسقة حملة "حق الفلسطينيين بالعمل"، بيروت، 2 آب/أغسطس 2008.

¹⁴⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، إليي براغيد، مدير مكتب الرئيس في القوات اللبنانية، معراب، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ حسن حدرج، عضو مكتب سياسي في حزب الله، الضاحية الجنوبية لبيروت، 8

III. تزايد الاضطراب في المخيمات

أ. الصراع بين الفصائل

تأتي سياسة لبنان تجاه اللاجئين على خلفية انقسامات داخلية بين الفلسطينيين أنفسهم. تنازعت الفصائل الفلسطينية المختلفة بين بعضها خلال الحرب الأهلية، سواء قبل الاجتياح الإسرائيلي أو بعده¹⁴⁹ وقد استمر إضعاف منظمة التحرير، وحركة فتح بشكل خاص، في ظل الهيمنة السورية على لبنان ودعمها للفصائل المعادية للمنظمة. ورغم تواصل الاتصالات بين الحكومة اللبنانية وحركة حماس، إلا أن هذه الأخيرة ومعها بعض الأطراف اللبنانية بما فيها حزب الله، باتت ترى أن الحكومة تميل منذ عام 2005 أكثر فأكثر لجهة حركة فتح في الصراع المرير والمتفاعل بين الفصائل الفلسطينية.¹⁵⁰

وترى منظمة التحرير الفلسطينية أنها ما تزال الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني متوقعة انعكاس هذا الواقع في السياسة اللبنانية إذ يقول أحد مسؤوليها:

قاطع أعضاء التحالف مكتب منظمة التحرير التمثيلي بهدف إضعاف سلطتها وقاموا بتشكيل وفد مستقل للتفاوض مع السلطات اللبنانية. إلا أن سياستهم كانت محكومة بالفشل لأن منظمة التحرير تمثل بالنسبة للحكومة اللبنانية الشرعية الفلسطينية.¹⁵¹

أما فصائل التحالف، فترى أن على الوضع اللبناني أن يعكس تغيرات موازين القوى بين الفصائل إن على الساحة الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة أو في لبنان. وتتمثل هذه التغيرات ب بروز حركة حماس كالمنافس الأبرز لحركة فتح – وبالتالي لمنظمة التحرير الفلسطينية -- بعد فوزها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية في كانون الثاني/يناير 2006، وتزايد شعبيتها في لبنان، وتحالفها مع أطراف إقليمية فاعلة مثل إيران وسوريا وحزب الله، إضافة إلى فشل عملية السلام.

نتج عن الانقسام الفلسطيني تبعات خطيرة على اللاجئين فحرمهم تمثيلاً سياسياً متماسكاً وفاعلاً، كما ظهر ذلك جزئياً في اختلال فاعلية لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني. والأخطر من ذلك أن الانقسامات الداخلية أسهمت بشكل غير مباشر في الأحداث المأساوية التي هزت نهر البارد إذ جاء ظهور فتح الإسلام وتعزيز وجودها في وقت حال الانقسام العميق بين الفصائل دون الاتفاق على أسلوب موحد وفعال لمواجهة المجموعة الجهادية. وبدلاً من ذلك، وقفت الفصائل تتفرج على تقادم الوضع الذي كانوا أصلاً على دراية

¹⁴⁹ أنظر القسم ثانياً. أ أعلاه.

¹⁵⁰ يرى حزب الله أن أي حوار لبناني-فلسطيني يجب أن يشمل كل الفصائل الفلسطينية، بما في ذلك حماس وبقية أعضاء التحالف. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، حسن حدرج، عضو مكتب سياسي في حزب الله ومسؤول الشؤون الفلسطينية في الحزب، الضاحية الجنوبية لبيروت، 8 آب/أغسطس 2008. وبالنسبة إلى سياسة السنيورة تجاه الفصائل الفلسطينية أنظر تقرير مجموعة الأزمات، "لبنان: إدارة العاصفة المتجمعة"، المصدر المذكور سابقاً، الصفحات 5-6.

¹⁵¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، هشام دبسي، المستشار الإعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 8 أيلول/سبتمبر 2008.

لم يتغير إلا القليل عبر السنين. ويعتبر اللاجئون السياسة اللبنانية كأحدى أشكال العقاب الجماعي وأنها الثمن الذي يجبرون على دفعه لقاء دورهم في الحرب الأهلية.¹⁴⁷ ويتصاعد إحباط اللاجئين وغضبهم إزاء الدولة مع انعدام الأمل وانسداد آفاق اقتصادية أفضلوالتهميش والإقصاء الاجتماعي. ومن الطبيعي أن تعزز العوامل جميعها النزعة القتالية والراديكالية في المخيمات، ما يزيد من احتمالات الاضطراب والعنف. ويقول أحد مسؤولي إحدى الفصائل:

سياسة الدولة اللبنانية تجاه الفلسطينيين خطيرة جداً على لبنان. فالعنف والراديكالية يتزايدان بين اللاجئين. لقد أصبحت المخيمات قنبلة موقوتة ستنفجر عاجلاً أم آجلاً وسيكون لذلك نتائج خطيرة على كل من اللبنانيين والفلسطينيين.¹⁴⁸

أب/أغسطس 2008؛ مصطفى علوش، نائب في البرلمان عن تيار المستقبل، طرابلس، 4 آب/أغسطس 2008؛ محمد خواجه، عضو مكتب سياسي في حركة أمل، بيروت، 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.
¹⁴⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو جابر، مسؤول في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في نهر البارد، مخيم البداوي، 13 نيسان/أبريل 2008
¹⁴⁸ المرجع السابق.

حزيران/يونيو 2007، طلبنا أن يتم استثناء لبنان إذ كان هاجسنا عدم نقل الصراع الداخلي إلى لبنان. إلا أن المباحثات بيننا توقفت بشكل متكرر، خاصة بعد خلافاتنا بشأن التعاطي مع فتح الإسلام. لكننا في النهاية وصلنا إلى اتفاق إذ شكلت منظمة التحرير الفلسطينية وفصائل التحالف في نيسان/أبريل 2008 قيادة طوارئ، وهي المحاولة الأولى لإيجاد آلية للتنسيق منذ إعادة فتح مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية.¹⁵⁶

كما تضمن الاتفاق تشكيل قيادة سياسية موحد برئاسة عباس زكي وتضم ستة أعضاء، ثلاثة من كل من التحالف ومنظمة التحرير، كانت مخولة لتنسيق إدارة الشأن الفلسطيني في لبنان والمخيمات إضافة إلى حفظ القانون والأمن والنظام. إضافة إليه، دعا الاتفاق إلى توسيع عضوية منظمة الكفاح المسلح (المسؤولة عن القانون والأمن في المخيمات إضافة إلى التنسيق الأمني مع السلطات اللبنانية) لتشمل فصائل التحالف وأكد على مبادئ مشتركة أهمها: حق العودة ورفض توطين الفلسطينيين وترحيلهم الإجمالي، و إعادة إعمار نهر البارد، والتعهد بعدم إيواء المجرمين داخل المخيمات.¹⁵⁷

ولكن في النهاية كان لا بد للنزاع المتصاعد بين حماس وفتح في الأراضي المحتلة أن يؤثر على الوضع داخل لبنان، وبالتالي تم إيقاف تنفيذ الاتفاق. وهنا يقول أحد مسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية:

لقد تم حالياً تجميد عملية تشكيل قيادة سياسية موحدة نتيجة للمجزرة التي ارتكبتها حماس ضد أعضاء من حركة فتح في غزة في آب/أغسطس 2008.¹⁵⁸ وكانت الوثيقة قد وقعت من قبل جميع الفصائل وكانت تفصلنا أيام معدودة عن إعلانها. ولكن ذلك كان مستحيلاً بعد المجزرة. فلم نعد نستطيع الجلوس مع حماس على طاولة واحدة. ورغم ذلك، فإننا نحافظ على علاقاتنا مع فصائل التحالف الأخرى، وهناك بعض التنسيق حتى مع حماس على المستوى المحلي.¹⁵⁹

إذا بدأ الصراع بالامتداد إلى لبنان، ويأتي على لسان أحد قادة حركة فتح أن "حماس تريد السيطرة على المخيمات وترفض أي مشاركة في السلطة. وهي تقوم بتصفية خصومها في غزة. وفي لبنان فإن هدفها أيضاً هو إضعاف فتح".¹⁶⁰ ومن وجهتها تعتقد حركة حماس أن كل "الجهود الهادفة إلى التنسيق بين منظمة التحرير

بخطورته. وسرعان ما باعت بالفشل الجهود الرامية إلى بناء جبهة موحدة - كما في سلسلة من الاجتماعات المشتركة بين رئيس الوزراء السنيرة وعباس زكي وأسامة حمدان.¹⁵² وبينما الوضع كان يزداد تازماً، طفت على السطح الخلافات العميقة ففي حين أيدت منظمة التحرير الفلسطينية رداً عسكرياً عنيفاً بعد رفض فتح الإسلام الاستسلام،¹⁵³ استمرت فصائل التحالف في تأييد الوساطة السلمية والحوار.¹⁵⁴

وبشكل عام قدمت الخلافات الفصائلية والشلل الناجم عنها إلى الجماعة الجهادية حرية كبيرة للعمل ودون محاسبة، دفع اللاجئين الفلسطينيون في النهاية أعلى الأثمان. وقد أوضح ذلك أحد قادة التحالف بقوله: "لقد كانت معاناتنا مضاعفة: ليس فقط كان علينا مشاهدة تدمير المخيم وتسويته بالأرض بل في النهاية كان علينا جميعاً القبول بهجوم الجيش. تتحمل الفصائل الفلسطينية كامل المسؤولية عن ما حدث في نهر البارد".¹⁵⁵

لقد كان للصراع بين حركتي فتح وحماس تداعيات شديدة الأهمية. وبخلاف الأراضي الفلسطينية، بقي الاتصال قائماً، بحده الأدنى على الأقل، بين الحركتين، وهي ضرورة يملئها قربهما وتفاعلهما داخل المخيمات. ويقول مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية:

رغم أن المؤسسات الحكومية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية أنهت تعاونها مع حركة حماس بعد استيلائها على غزة في

¹⁵² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نديم شحادة، مستشار لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، بيروت، 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁵³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون في حركة فتح، المخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008.

¹⁵⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، أسامة حمدان، الضاحية الجنوبية لبيروت، 28 نيسان/أبريل 2008؛ جمال خطاب، زعيم الحركة الإسلامية المجاهدة، عين الحلوة، 29 آذار/مارس 2008. ولقد تبادل الفصيلان الاتهامات. ويقول أحد مسؤولي فتح "لم نكن مطمئنين إلى فتح الإسلام عندما منذ البدء. فالكثير من أعضائها يتحدرون من السعودية واليمن وشمال إفريقيا وسوريا ولبنان، أنا القليل منهم فقط كان فلسطينياً. وفي البداية، انتقدت كل الفصائل الفلسطينية فتح الإسلام بشدة. ولكن رغم ذلك، وافقت الفصائل المالية لسوريا (وهي حماس والجهاد الإسلامي والجهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة) على بقاء فتح الإسلام في نهر البارد حين ادعوا أن هدفهم محاربة إسرائيل وقالوا أنهم لا يرون مشكلة في ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، طرابلس، 5 أيلول/سبتمبر 2007. وفي المقابل قال شيخ مقرب من حماس أن حركة فتح أعاققت الوصول إلى حل سلمي. "كنا نريد تشكيل آلية أمنية في المخيم تشترك فيها جميع الفصائل. ولكن فتح عارضت ذلك. فقد كانوا يريدون استخدام جهازهم الأمني الخاص. واتهموا فتح الإسلام بأنهم مخربون، وبدورها اتهمتهم فتح الإسلام بأنهم كفار". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، شيخ عضو في رابطة علماء فلسطين، 29 أيلول/سبتمبر 2007.

¹⁵⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو خالد الشمال، ممثل جبهة النضال الشعبي الفلسطيني في لبنان، مخيم شاتيلا، 6 نيسان/أبريل 2008. ويقول عباس زكي "كنا قد أعلننا بشكل واضح أن سياستنا الجديدة ستحترم سيادة لبنان. وقلنا أيضاً أننا لن نسمح بأن تتحول المخيمات إلى بؤر أمنية أو تصبح ملاذاً للخارجين عن القانون. ولقد كانت الحرب في نهر البارد اختياراً لسياستنا هذه ومصادقينا. اضطررنا للقبول بها رغم أنها كانت على حساب شعبنا وشعبيتنا. فقد كان العنف يهدد بالانتشار إلى المخيمات الأخرى. ضحينا بنهر البارد من أجل إنقاذ البداوي والمخيمات الأخرى". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 17 آب/أغسطس 2008.

¹⁵⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، هشام ديسي، المستشار الإعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 8 أيلول/سبتمبر 2008.

¹⁵⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، بيروت، 10 أيلول/سبتمبر 2008.

¹⁵⁸ أودت مصادمات بين القوى الأمنية التابعة لحماس وعائلة موالية لحركة فتح في غزة في آب/أغسطس 2008 بحياة تسعة قتلى وعشرات الجرحى. كما اعتقلت حماس عدداً كبيراً من الموالين لفتح. أنظر موجز مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 24، "الجولة الثانية في غزة"، 11 أيلول/سبتمبر 2008.

¹⁵⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، بيروت، 10 أيلول/سبتمبر 2008.

¹⁶⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رفعت شناعة، مسؤول فتح في شمال لبنان، البداوي، 13 نيسان/أبريل 2008.

إن منظمة التحرير الفلسطينية تضحى بمصالح اللاجئين. ففي المفاوضات مع إسرائيل تخلت عن حق العودة. وفي لبنان تقوم بخدمة مصالح الدولة، كما تجلى ذلك في نهر البارد إذ أصبح الأمر كما لو أنها تمثل لبنان وليس الفلسطينيين.¹⁶⁴

كما انتقد مسؤول في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (والتي تنتمي إلى منظمة التحرير الفلسطينية) "الخلط الكامل بين السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية. أصبحت الثانية أداة تستخدمها الأولى".¹⁶⁵ وفي تشرين الثاني/نوفمبر 2008 تم اتخاذ خطوة إضافية عندما قررت الحكومة اللبنانية تأسيس علاقات دبلوماسية مع السلطة الفلسطينية، ومنذ ذلك الحين تم القيام بإجراءات لتحويل مكتب منظمة التحرير الفلسطينية إلى سفارة للسلطة الفلسطينية.¹⁶⁶

وتنتقد بعض فصائل منظمة التحرير الفلسطينية احتكار حركة فتح الموارد وصنع القرار ضمن المنظمة التي مفترض بها أن تكون مظلة لكل الفصائل. ويقول أحد المسؤولين المحليين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين "صار منظمة التحرير الفلسطينية هي حركة فتح، أو حتى بعض الأشخاص ضمن فتح. فلا القرارات ولا الإجراءات يتم التشاور فيها وهي تؤخذ بشكل أحادي من قبل فتح".¹⁶⁷

وبالنسبة إلى كثير من اللاجئين، أصبح إصلاح جوهر منظمة التحرير الخطوة الأساسية والملحة لتفعيل تمثيلهم وتحسين الوضع الفلسطيني العام في لبنان.¹⁶⁸

أصبح إصلاح منظمة التحرير وتفعيل الديمقراطية فيها أمراً ملحاً وضرورياً فقادتتها يشغلون مناصبهم منذ الستينات، وكل هدفهم هو الحفاظ على مصالحهم الشخصية. الفساد وانعدام الكفاءة وغياب الديمقراطية المستشري داخل المنظمة يضر بالفلسطينيين جميعهم سواء كانوا داخل الأراضي المحتلة أو في الشتات. كل هذه المشاكل تدمر القضية الفلسطينية".¹⁶⁹

الفلسطينية والتحالف قد تم القضاء عليها من قبل حركة فتح التي قامت قيادتها بمنع عباس زكي من العمل معنا".¹⁶¹

وقد شهدت المخيمات بعض الحوادث العنيفة بين أعضاء من الحركتين تم احتواؤها بفضل التدخل السريع لقادة الحركتين الذين يبدون جميعاً مصممين على تجنب المخيمات نزاعاً شاملاً كما والعزوف عن أعمال من شأنها استفزاز الدولة المضيفة. وخلال الحرب على غزة، بقيت المخيمات هادئة نسبياً رغم التوتر المتصاعد بسبب القتل والتدمير في غزة والتقى قادة حماس وفتح في اجتماعات رسمية وفي مظاهرات شعبية تعبيراً عن الوحدة.¹⁶² ولكن، يزيد كل حادث عنف المخاوف من التوتر في المخيمات ويذكر بخطر التصعيد.¹⁶³

ب. منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح

ليس الصراع بين حركتي فتح وحماس السبب الوحيد في وضع المخيمات السيء. فقد اهتز التماسك الداخلي أيضاً بسبب التوترات داخل منظمة التحرير الفلسطينية نفسها، وخاصة ضمن الحركة المهيمنة عليها فتح، وقد تصاعدت هذه التوترات في أعقاب وفاة ياسر عرفات عام 2005.

ويتزايد عدد اللاجئين الذين لم يعودوا يرون في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً فاعلاً قادراً على الدفاع عن مصالحهم. ويعود ذلك لأسباب متعددة. جاء تأسيس السلطة الفلسطينية في عام 1996 ليضعف حتماً دور منظمة التحرير الفلسطينية ويخلق التباساً في ما يتعلق بالجهة والمكانة الفعلية لمتخذي القرارات. من حيث المبدأ، تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بالتفاوض مع إسرائيل وتمثيل كل الفلسطينيين - سواء في الأراضي المحتلة أو في الشتات -- لكن هذا أصبح نظرياً أكثر منه واقعاً إذ باتت منظمة التحرير منظمة رمزية بشكل أساسي غير قادرة على اتخاذ القرارات الرئيسية. ويقول أحد سكان المخيمات:

¹⁶⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أحد سكان مخيم شاتيلا، حزيران/يونيو 2008.

¹⁶⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو عماد شاتيلا، مخيم مار إلياس، 3 أيار/مايو 2008.

¹⁶⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون ولبنانيون، كانون الأول/ديسمبر 2008. أنظر أيضاً "الحياة"، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وقد انتقد هذا القرار كل من التحالف والمعارضة اللبنانية.

¹⁶⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو جابر، مخيم البداوي، 13 نيسان/أبريل 2008. وقد كرر هذا الرأي كثير من الناشطين الفلسطينيين الذين قابلتهم مجموعة الأزمات. وبحسب أحدهم فإن "القرارات المتعلقة بمصير اللاجئين تتخذ بشكل أحادي من قبل فتح، تحت اسم منظمة التحرير الفلسطينية. فعندما أصدر زكي إعلان فلسطين [وهو خطاب ألقى في 7 كانون الثاني/يناير 2008 احتفالاً بعيد ميلاد فتح الـ 43] لم يبق حتى بالتشاور مع الفصائل الأخرى في منظمة التحرير الفلسطينية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، قاسم عينا، مدير عام المؤسسة الوطنية للرعاية الاجتماعية والتدريب المهني، مخيم شاتيلا، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁶⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون وسكان مخيمات، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-تشرين الأول/أكتوبر 2008.

¹⁶⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، أنيس صايغ، كاتب فلسطيني ومدير سابق لمركز الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁶¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أسامة حمدان، الضاحية الجنوبية لبيروت، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁶² مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، قادة وسكان فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، كانون الأول/ديسمبر 2008- كانون الثاني/يناير 2009. أنظر أيضاً القسم خامساً أدناه.

¹⁶³ تبادل مقاتلون من فتح وحماس إطلاق النار في عدة مناسبات، أهمها في مخيمي المية ومية وفي برج البراجنة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، بيروت، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. ويدعي أسامة حمدان أن مسؤولاً من حماس تعرض للاعتداء في عين الحلوة من قبل أنصار لحركة فتح كما أنهم قاموا بالقاء قنبلة يدوية على مسؤول آخر في حماس. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، في الضاحية الجنوبية لبيروت، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. ولكن رغم ذلك فإن كثير من المراقبين يعتقدون أن الصراع بين فتح وحماس قد تم احتواؤه ومن الممكن الاستمرار في احتواؤه. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، جابر سليمان، باحث فلسطيني، مخيم مار إلياس، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ وليد محمد علي، مدير عام مركز 'باحث' للدراسات والأبحاث، بيروت، 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ محسن صالح، مدير عام مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ سمير أحمد أمين عام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في لبنان، بيروت، 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

إن دوره الوحيد هو التمثيل الدبلوماسي. وستتحدى كل قراراته وتعييناته وأوامره بالصرف من الخدمة. لقد خرق قوانين فتح الداخلية. وهو يتصرف بشكل أحادي دون استشارة القادة المعروفون بتاريخهم الطويل في لبنان والذين يفهمون الساحة اللبنانية بشكل أفضل.¹⁷⁵

يعتبر هذا التنزاع في لبنان نموذجاً مصغراً عن الاضطرابات الأوسع والانقسامات الأكبر ضمن حركة فتح وعن الصراع بين الرئيس محمود عباس ومعارضيه الكثيرين ضمن الحركة. ويتخوف بعض الأعضاء القلقين في فتح من التفكك التدريجي للحركة نتيجة التنافس الداخلي وغياب قيادة قوية وبرنامج سياسي واضح.¹⁷⁶ ويشكك أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية من غير حركة فتح في قدرة هذه الأخيرة على إعادة تفعيل التماسك الداخلي، رغم اعتقادهم بأن الصراع مع حماس أصبح عاملاً موحداً.¹⁷⁷ وفي تشرين الثاني/نوفمبر 2008 أنهى زكي وأبو العينين تخاصمهما، على الأقل ظاهرياً كما ادعى.¹⁷⁸

ويرى عدد من المحللين أن النزاعات على السلطة والفساد المتفشى في الحركة من أهم أسباب الفوضى وتناميها ضمن المخيمات فقد أضعفت مصداقية وفعالية المؤسسات الأساسية، كمنظمة الكفاح المسلح،¹⁷⁹ وتسببت باضطرابات أمنية.¹⁸⁰ ويكمن التحدي الأكبر في انعدام قدرة منظمة التحرير الفلسطينية أو حركة فتح على التعامل بفعالية مع الجماعات الجهادية الراضية لمشروع المنظمة الوطني وإستراتيجيتها وتحالفاتها.

كما يضاف إلى هذه الخلفية، مشاكل حركة فتح الداخلية المتزايدة. يرفض المسؤولون المحليون إلى حد كبير أي سلطة مركزية. وسعى كل منهم إلى فرض هيمنته على مخيم لاجئين أو حتى على منطقة ضمن مخيم. كما وطدوا علاقات مع أطراف لبنانية - مثل حزب الله وعائلة الحريري وغيرهم - أو مع لاعبين إقليميين مثل سوريا. ومستفيدون من وجودهم الطويل في لبنان، أسس الكثير منهم شبكات سلطة مستقلة وفسادة في الأغلب، بفضل مصادر التمويل الخارجي.¹⁷⁰

بهذه التصدي لهذا الوضع، بعث عباس إلى لبنان في تشرين الثاني/نوفمبر 2005 حليفاً مقرباً منه هو عباس زكي لإعادة تنظيم وضبط الحركة.¹⁷¹ كما عمد إلى إعادة تحديد وتوزيع المسؤوليات بين قادة فتح. وجاءت النتيجة متباينة، في أحسن الحالات. كانت أهم التغييرات خفض مرتبة سلطان أبو العينين الذي كان إلى حينها أمين سر حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.¹⁷² أحدثت هذه التغييرات وغيرها توتراً كبيراً¹⁷³ بلغ ذروته في انتخابات الحركة المحلية في تشرين الأول/أكتوبر 2008 والتي فاز فيها سلطان أبو العينين وحلفاؤه.¹⁷⁴ وفي الفترة ما بين آب/أغسطس وتشرين الثاني/نوفمبر 2008 كان لحركة فتح في لبنان في لبنان تياران، يقود الأول عباس زكي، والثاني سلطان أبو العينين. رفض أبو العينين سلطة زكي بوصفه ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية بالقول:

¹⁷⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤول فلسطيني، بيروت، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁷¹ زكي هو عضو في اللجنة المركزية لحركة فتح وممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.

¹⁷² كان القبول بالقرار أصعب ما يكون بالنسبة إلى أبو العينين لأن كمال ناجي - وهو أحد منافسيه الرئيسيين - قد عُين مساعداً لزكي في لبنان. ويرى كثير من المراقبين أن انقسامات فتح الداخلية في لبنان تعكس إلى حد كبير صراعاً على السلطة والنفوذ بين زكي وأبو العينين. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، أنيس صايغ، مدير سابق لمركز الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ قاسم عينا، مخيم شاتيلا، 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ ساري حنفي، بيروت، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ وليد محمد علي، بيروت، 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ سمير أحمد، بيروت، 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁷³ وفي تعديل آخر، نُقل خالد عارف من صيدا إلى بيروت، لإبعاده عن شبكة نفوذ كان قد بناها في الجنوب. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، عضو سابق في حركة فتح، بيروت، نيسان/أبريل 2008. ولكن عارف ينكر ذلك مؤكداً أن نقله يعكس فقط "رغبة عباس زكي في إعادة تنظيم فتح في بيروت واستعادة وزنها السياسي السابق". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، خالد عارف، مسؤول الشؤون الخارجية والسياسية في منظمة التحرير الفلسطينية، مخيم مية ومية، 4 أيار/مايو 2008. وقد أثار قرار استبداله بمنير المدقح المزيد من الجدل إذ كان سلطان أبو العينين قد سعى في عام 2003 إلى صرف منير المدقحما أدى حينها إلى مواجهة مسلحة. أنظر www.naharnet.com/domino/tn/arabicNewsDesk.nsf/0/519A984A115485AE42256D520048A6FA?OpenDocument.

¹⁷⁴ سيكون على زكي الذي يعتبر حالياً ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان أن يثبت نتائج الانتخابات بشكل رسمي. "ادعى الكثير من مقاتلي فتح أنه كان هناك احتيال وأن أبو العينين وحلفاءه قد مارسوا الكثير من الضغط. ولذلك سيتم تحدي انتصارهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، بيروت، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

¹⁷⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، سلطان أبو العينين، عبرا، جنوب لبنان، 30 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

¹⁷⁶ يتحدث قادة فصائل عدة بمن فيهم أعضاء في فتح عن احتمالات التفكك داخل الحركة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولين فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل - أيار/مايو 2008.

¹⁷⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو عماد شاتيلا، مخيم مار إلياس، 3 أيار 2008.

¹⁷⁸ "البلد"، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. ولكن، لم يتم فعلياً حل إلا القليل من جوهر الخلاف. وخلال انتخابات اتحاد المدرسين في البداوي، كانت فتح منقسمة حيث قام كل من أنصار زكي وأبو العينين بتشكيل لوائح مختلفة. ويقول أحد المسؤولين الفلسطينيين "سألت سلطان أبو العينين ما هو الحل. فأجاب 'أن يغادر زكي لبنان' ". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، كانون الأول/ديسمبر 2008.

¹⁷⁹ في عين الحلوة على سبيل المثال، أدى صراع بين اثنين من قادة فتح إلى إضعاف الحركة بشكل كبير. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون وسكان فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل - كانون الأول/ديسمبر 2008.

¹⁸⁰ يعتقد بعض المراقبين أن بعض أعمال العنف في عين الحلوة والتي نسبت إلى الجهاديين قد ارتكبتها أعضاء من فتح معارضون لزكي. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، ساري حنفي، الجامعة الأمريكية في بيروت، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وقد كرر هذا الرأي مسؤولون ومشايخ فلسطينيون ولبنانيون، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، طرابلس وصيدا، تشرين الثاني/نوفمبر - كانون الأول/ديسمبر 2008.

ج. سوء إدارة المخيمات

2. الأونروا

1. اللجان الشعبية

تأسست من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1949 وبدأت أعمالها في 1 أيار/مايو 1950. وتم تكليف هذه الوكالة بوضع برامج لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين في مجالات العمل والرعاية الصحية والتعليم. واليوم يبلغ عدد اللاجئين المسجلين لدى الأونروا حوالي 4.6 مليون، منهم 416,608 في لبنان، و1,059,584 في غزة، و754,263 في الضفة الغربية، و1,930,703 في الأردن، و456,983 في سوريا، رغم أن هذه الأرقام لا تعكس بالضرورة العدد الفعلي للاجئين في كل من الأماكن المذكورة.¹⁸⁵ ويبلغ عدد العاملين فيها 24,324 معظمهم من الفلسطينيين. وتشكل التبرعات الحكومية - من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والسويد والنرويج وغيرها- ما يقرب من نسبة 94 بالمائة من دخل الوكالة.¹⁸⁶

وتعد الأونروا في لبنان مقدم الخدمات الأوسع والأهم في المخيمات وأكبر مشغل للاجئين الفلسطينيين، وفي الواقع فهي بديل لغياب الدولة اللبنانية. وبالنسبة للفلسطينيين فإن دورها يحمل الكثير من الرمزية، فوجودها يبرز عدم إيجاد حل لمشكل اللاجئين. يقول أحد الفلسطينيين "إن وجود الأونروا مهم جداً بالنسبة لنا. فهو يذكر المجتمع الدولي بشكل دائم أن هناك لاجئين فلسطينيين وأن قضيتهم يجب أن تحل".¹⁸⁷

ولكن رغم ذلك فإن موارد الأونروا تتأخر بشكل كبير عن الحاجة القائمة، ويقول اللاجئون أن جودة الخدمات قد تدهنت مع مرور الزمن. ويوضح ذلك مدير الوكالة في لبنان بالقول:

إن ذلك ناجم بشكل كبير عن تناقص الدعم المالي وتزايد احتياجات اللاجئين الناجمة عن الصراعات وانعدام الاستقرار. ففي عام 2007 كان لدينا عجز بقيمة 70 مليون دولار. نحن نعاني بشكل دائم من قلة التمويل.¹⁸⁸

ورغم أن التمويل هو مشكلة أساسية، فإن البعض يجادل في أن العوائق البيروقراطية والزبانية والمحسوبيات والفساد تلعب أيضاً دوراً في ذلك،¹⁸⁹ إضافة إلى التنافس بين الفصائل الفلسطينية. ويقول

تم تأسيس اللجان الشعبية في عام 1969 إثر اتفاق القاهرة. وتعمل هذه المنظمات شبه الحكومية في المخيمات حيث تقوم بمهام بلدية مثل تأمين الماء والكهرباء وجمع المساهمات لقاء هذه الخدمات، إضافة إلى تنسيق الأنشطة المختلفة للأونروا، وإدارة الأمن في حالات السرقة والخلافات الشخصية وما شابه.¹⁸¹ كما تمثل سكان المخيمات أمام السلطات اللبنانية والأونروا والمنظمات الأخرى.¹⁸² إلا أن اللجان الشعبية تواجه عقبتين رئيسيتين.

تتمثل العقبة الأولى في نقص الموارد والخبرات. في الحقيقة، تعين الفصائل الفلسطينية أعضاء اللجنة كل بحسب ثقلها في مخيم ما يجعل المعايير السياسية تغلب على الكفاءة والقدرات التقنية. ويضاف إلى ذلك انخفاض واردات هذه اللجان المالية إذ تعتمد في مصادرها على سكان المخيمات، المحرومين أصلاً، وعلى الفصائل، التي تعاني بدورها مشاكل مالية. وينتقد اللاجئون بشكل لاذع أداء هذه اللجان.¹⁸³

كما يعيق عمل اللجان الانقسامات والتنافسات السياسية التي أدت في بعض الحالات إلى تأسيس لجان متنافسة بين موالية لمنظمة التحرير الفلسطينية وللتحالف. أضف إلى ذلك أن كل لجنة يتولد عنها مجموعة من اللجان الفرعية التي أصبحت ساحة للتنافس بين الفصائل والتي غالباً ما يكون عملها في قضايا محددة (الأمن والمياه والرعاية الصحية والتعليم والمعلومات) غير منسق وفي كثير من الأحيان مكرراً وأحياناً متناقضاً. كما أنه نادراً ما يتم التنسيق في جمع الأموال والاجتماعات واقتراحات المشاريع،¹⁸⁴ وفي بعض الأحيان تتجاهل الفصائل ما تقوم به اللجنة الفرعية خاصة في ما يتعلق بقضايا أمنية حساسة.

يتطلب تفعيل وتنظيم إدارة المخيمات تمناً تجديداً شاملاً لنظام اللجان. ويجب أن يتضمن هذا على سبيل المثال انتخاب أعضاء لتعريف شرعيتهم ومحاسبتهم، أو اعتماد معايير تضمن انتساب أشخاص كفونين ومؤهلين، وتوحيد اللجان في المخيمات التي تتواجد فيها حالياً أكثر من لجنة، وتخفيض عدد اللجان الفرعية.

¹⁸⁵ أنظر الموقع www.un.org/unrwa/publications/index.html.

¹⁸⁶ أنظر الموقع www.un.org/unrwa/finances/index.html.

¹⁸⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع محمد حنفي، وهو المدير التنفيذي لمنظمة حقوق الإنسان (شاهد)، بيروت 7 حزيران/يونيو 2008. يشكو كثير من الإسرائيليين أن الدول العربية تستغل الأونروا ومصيبة اللاجئين، وأنها تفضل إبقاء القضية حية بدلاً من إدماج اللاجئين بشكل كامل في مجتمعاتهم.

¹⁸⁸ اتصالات مجموعة الأزمات عبر البريد الإلكتروني مع سالفاتور لومباردو، وهو مدير الأونروا في لبنان، تشرين الأول/أكتوبر 2008. ¹⁸⁹ "إن عمليات الأونروا بطيئة جداً. وهذا يؤثر على جودة عملها. فيعض المشاريع الملحة يتم تأجيلها إلى أسابيع أو حتى أشهر". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في وكالة الأمم المتحدة يعمل في نهر البارد، طرابلس، 13 أيلول/سبتمبر 2008. ويدعي موظف في أحد المنظمات غير الحكومية العاملة في المخيمات أن "العاملين في الأونروا يستغلون وظائفهم من أجل مساعدة أفراد أسرته أو حلفائهم السياسيين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 آب/أغسطس 2008. وأخبر كثير من اللاجئين مجموعة الأزمات عن شكوكهم بأن أموال الوكالة تحول للاستخدام الشخصي. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان المخيمات، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008.

¹⁸¹ أي أنها لا تتعامل مع الخلاف السياسي بين الفصائل المتنافسة.

¹⁸² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع جمال قاسم، وهو المسؤول السابق في الأونروا عن الخدمات في مخيم برج البراجنة، الضاحية الجنوبية لبيروت، 6 حزيران/يونيو 2008.

¹⁸³ أنظر حسين علي شعبان، "المخيمات الفلسطينية في لبنان: من الضيافة إلى التمييز"، الجمعية الأكاديمية الفلسطينية لدراسة الشؤون الدولية، القدس، كانون الثاني/يناير 2002.

¹⁸⁴ في عام 1999 قدمت اللجان الشعبية في عين الحلوة مذكرتين مختلفتين إلى الأونروا رغم أن مطالبتهما كانت متشابهة بشكل عام. أنظر جابر سليمان "الوضع السياسي والتنظيمي والأمني الحالي في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان"، "صحيفة الدراسات الفلسطينية"، المجلد 29، رقم 1 (خريف 1999)، الصفحات 66-80.

IV. التيار الجهادي

في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي أدت عدة عوامل متلاقية إلى صعود تيار جهادي سلفي في المخيمات¹⁹⁶ أهمها: غياب قوة سياسية فاعلة تسيطر على المشهد السياسي الفلسطيني، وانغلاق وعزلة المخيمات عن بقية الدولة، وتدهور الأوضاع المعيشية، والانتشار الواسع للتيارات الإسلامية في أرجاء الشرق الأوسط¹⁹⁷. كما أدى انهيار عملية السلام في أواخر التسعينيات إلى تسارع هذا الصعود. وعبر استغلال أزمة الهوية لدى اللاجئين الشباب، واليأس الاجتماعي والاقتصادي وفراغ القيادة، ازدهرت جماعات مثل جند الشام وعصبة الأنصار وعصبة النور والحركة الإسلامية المجاهدة، وحديثاً فتح الإسلام. ينطبق ذلك بشكل خاص على الشمال الذي يعتبر معقلاً تقليدياً للسنة¹⁹⁸ والذي يفترق إلى قيادة لبنانية قوية، وكذلك في عين الحلوة الذي يختلف عن المخيمات الأخرى بعدم خضوعه إلى سلطة فصيل واحد.

وفي عين الحلوة بالتحديد¹⁹⁹ تقدم الجماعات الجهادية نفسها على أنها بديل عن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي يرى الكثيرون أنها فقدت مصداقيتها وأصبحت فاسدة، والتي يتهمها الإسلاميون

مسؤول سابق في الأونروا كان مشرفاً على الأنشطة في برج البراجنة "إن بعض الموظفين في الأونروا غير مؤهلين لوظائفهم. فعندما يصير أحد الفصائل الفلسطينية على أن يتم توظيف أحد أعضائه تجد الوكالة صعوبة كبيرة في تنفيذ ذلك"¹⁹⁰ وقد أضر كل هذا بصورة الوكالة وعلاقتها مع سكان المخيمات. ويذكر موظفو الأونروا أمثلة عن حالات تعرض فيها زملاؤهم إلى تعديات جسدية من قبل اللاجئين الغاضبين¹⁹¹. ويقر مدير الوكالة في لبنان بالحاجة إلى الإصلاح بقوله:

يجب أن يتم تغيير هيكلتنا وإجراءات العمل المتبعة. لقد أطلقنا عملية إصلاح في عام 2006 بهدف تغيير ثقافة التراتبية السائدة من خلال إعطاء الصلاحيات للموظفين العاملين في الميدان، وتعزيز المحاسبة والاستجابة لحاجات اللاجئين بطريقة تكون أكثر استهدافاً¹⁹².

وبحسب المفوضة العامة للأونروا فإن الوكالة هي في خضم "عملية إصلاح واسعة ستكون ذات نتائج متعددة"¹⁹³ فقد قامت بإطلاق مبادرة تقييم الاحتياجات إضافة إلى إجراءات أخرى لتحديد شكاوى اللاجئين بشكل أفضل، وضمان تدخل في الوقت المناسب يكون أكثر استهدافاً وكفاءة¹⁹⁴ وقد بدأنا بالفعل بملاحظة بعض النتائج الجزئية، رغم أن القضايا الأكثر أهمية والمتعلقة بالميزانية لم تتم معالجتها بعد¹⁹⁵.

¹⁹⁶ يؤمن السلفيون الجهاديون أنهم يشاركون في الدفاع العسكري عن (أو في بعض الحالات التوسع في) 'دار الإسلام' (وهو الجزء من العالم الذي خضع تاريخياً لحكم المسلمين) و 'الأمة' ضد الكفار. ويجب أن يتم تمييزهم عن حركة السلفية الدعوية التي تركز على الدعوة كوسيلة لتعزيز أو إحياء الإيمان والحفاظ على تماسك المجتمع المؤمن. ولمزيد من التحليل المعمق عن التيارات الإسلامية أنظر تقرير مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط وشمال إفريقيا رقم 37، "فهم الإسلام السياسي"، 2 آذار/مارس 2005.

¹⁹⁷ تضمن عدد من الحوادث الأخيرة المرتبطة بالجهاديين في لبنان أفراد فلسطينيين أو أسلحة استحصل عليها من المخيمات الفلسطينية. وتتضمن هذه الأحداث اغتيال عصبة الأنصار في عام 1995 لإسلامي لبناني اعتبرته مرتدًا، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مشايخ على علاقات وثيقة مع عصبة الأنصار، طرابلس، كانون الثاني/يناير-حزيران/يونيو 2006؛ اشتباكات مسلحة في كانون الأول/ديسمبر 1999-كانون الثاني/يناير 2000 بين الجيش اللبناني وجماعة جهادية كان لها ارتباط بعصبة الأنصار وبالمخيمات الفلسطينية، المصدر السابق؛ سلسلة تفجيرات بين لبنان/فلسطينية نفذتها بأسلحة حصلت عليها من مخيمي البداوي وعين الحلوة كما أن عدداً من أعضائها قد تم تدريبهم في المخيمات. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، باحث محلي، طرابلس، نيسان/أبريل 2006.

¹⁹⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مشايخ ومقاتلون إسلاميون، طرابلس، كانون الثاني/يناير-أيار/مايو 2006. وفي خطوة ذات مغزى كبير، توجه عدد من بيانات فتح الإسلام إلى "عائلات طرابلس وعمار". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، محمد الحاج، إمام مسجد التقوى في نهر البارود وعضو رابطة علماء فلسطين، أبو سمرا، شمال لبنان، 25 كانون الأول/ديسمبر 2008.

¹⁹⁹ في الثمانينيات والتسعينيات كانت الجماعات الجهادية تركز بشكل أساسي على عين الحلوة مستغلة الفراغ الأمني الذي أعقب الاجتياح الإسرائيلي عام 1982. كما أنه لم يكن في المخيم قوة مسيطرة، بخلاف المخيمات التي كانت إما تحت سيطرة سوريا وحلفائها الفلسطينيين (بشكل رئيسي في الشمال وبيروت والبقاع) أو تحت سيطرة فتح (المخيمات الأخرى في الجنوب).

¹⁹⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، جمال قاسم، مدير خدمات سابق في مخيم برج البراجنة، الضاحية الجنوبية لبيروت، 6 حزيران/يونيو 2008.

¹⁹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤول في الأونروا، البداوي، 10 نيسان/أبريل 2008.

¹⁹² اتصالات مجموعة الأزمات عبر البريد الإلكتروني، سالفاتور لومباردو، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

¹⁹³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كارين أبو زيد، المفوضة العامة للأونروا، دمشق، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

¹⁹⁴ اتصالات مجموعة الأزمات عبر البريد الإلكتروني، سالفاتور لومباردو، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

¹⁹⁵ تقول مسؤولة في إحدى وكالات الأمم المتحدة تعمل بشكل وثيق مع الأونروا "حدثت بعض التغييرات ضمن الوكالة. فقد أصبح الموظفون أفضل تدريباً واستعداداً كما منحو صلاحيات ليتخذوا قراراتهم بأنفسهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، طرابلس، كانون الأول/ديسمبر 2008. أما بالنسبة للميزانية فقد أوضحت كارين أبو زيد أن الأونروا تعاني من عجز مزمن يتراوح بين 80-100 مليون دولار". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، دمشق، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2008.

كما لعبت سوريا والآخرين دوراً، وإن لا يزال غامضاً بعض الشيء، تجاه المجموعات الإسلامية. حاولت دمشق خلال فترة وجودها في لبنان أن تبعد الحركات الجهادية عن المخيمات التي كانت تحت سيطرتها، سواءً في الشمال أو بيروت أو البقاع، خوفاً من أن تتحول إلى قوة مذهبية يصعب السيطرة عليها فتهدد مصالح النظام السوري.²⁰⁴ وفي الوقت نفسه، يتهم معارضو دمشق استخداماً هذه الجماعات في التعامل مع بعض الأطراف اللبنانية أو الفلسطينية. ويعبر أحد مشايخ طرابلس الذي تربطه علاقة وثيقة بالمجموعات الإسلامية داخل المخيمات عن نظريته للدور السوري والذي يشاركه فيها الكثير من اللبنانيين:

استفادت سوريا من عوامل عدة مزعة للاستقرار بما فيها المتطرفين داخل المخيمات بغية بسط سيطرتها على لبنان. واستخدمت الجهاديون في عين الحلوة لإضعاف عدوها الأول أي حركة فتح بقيادة ياسر عرفات. كما استعملت المخابرات السورية القوى المتطرفة كلما علت أصوات تتحدى وجودها. وبعد انسحابها، شكلت هذه الجماعات أهمية إستراتيجية أكبر بالنسبة لسوريا.²⁰⁵

ويبدو أن معظم الجماعات الجهادية في المخيمات قد اتبعت تفاهماً ضمنياً تتمتع بموجبه عن انتقاد النظام السوري علناً باستثناء حين كان يدخل في مفاوضات مع إسرائيل.²⁰⁶ ويقول البعض أن الغزو الأمريكي للعراق والتدهور الحاد في علاقاتها مع دمشق أدى إلى فتح صفحة جديدة في مقاربة سوريا للجهاديين الذين سُمح لهم الوصول إلى أرض المعركة الجديدة انطلاقاً من الأراضي السورية. ووفقاً لأحد المشايخ من صيدا ممن تربطه علاقة مع الجماعات الجهادية في عين الحلوة فإن "الكثير من الفلسطينيين واللبنانيين قد عبروا الحدود للذهاب ومقاتلة الولايات المتحدة في العراق. ولم يكن ذلك ممكناً بدون ضوء أخضر سوري".²⁰⁷ كما اتهمت

بالاستسلام لإسرائيل والغرب بسبب تخليها عن الحقوق الفلسطينية وخاصة حق العودة.²⁰⁰ ويقول قائد أحد الجماعات في هذا الخصوص:

كل ما حصده من القوى الوطنية هو الخيبات والهزائم المتكررة. أما عملية السلام فلم تأت بأي نفع للشعب الفلسطيني. لقد أثبتت الخيارات القومية والوطنية فشلها ولم تعد تقتنع أحداً. أصبح الإسلام بالنسبة إلى معظم فلسطينيي لبنان هو الحل كما يدل انتشاره الواسع داخل المخيمات.²⁰¹

وبالإضافة إلى الاستفادة من الفراغ في المخيمات، فقد استفاد الجهاديون أيضاً من الانقسامات السياسية اللبنانية والفلسطينية. وقامت عدة جماعات - مثل عصابة الأنصار والحركة الإسلامية المجاهدة وحزب التحرير - بالانضمام إلى حماس والجهاد الإسلامي في ائتلاف يعرف باسم "القوى الإسلامية الفلسطينية" معارض لفتح يرفض نزع السلاح ويؤيد الكفاح ضد إسرائيل.²⁰² ويقول أحد المشايخ ذات علاقة وطيدة بحماس:

لدى حماس كل المصلحة في التأثير على هذه الجماعات لأنها تشكل أداة ضغط إضافية. تقوم هذه المجموعات بالتشاور مع حماس قبل اتخاذ أي قرارات هامة، كما تسعى حماس إلى التأثير على أيديولوجيتهم وطرق تعاملهم مع المجتمع اللبناني والدولة. وكانت إحدى نتائج هذا التفاعل مع حماس أن تخلى أعضاء عصابة الأنصار - الذين اعتادوا استخدام العنف اللفظي والجسدي مع سكان عين الحلوة لفرض الشريعة الإسلامية -- عن هذه الممارسات بفضل مناقشات وأحاديث طويلة أقتنعتم خلالها حماس بأنها تتعارض مع الإسلام.²⁰³

²⁰⁰ في أول بيان لها قالت فتح الإسلام أنها تحارب "الفساد" و"التنازلات" التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطيني التي خانت مهمتها الأصلية ولوثت نقاء قضيتها، 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2006، على الموقع www.tajdeed.com

²⁰¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، جمال خطاب، رئيس الحركة الإسلامية المجاهدة، عين الحلوة، 29 آذار/مارس 2008. ورغم أن عدداً من مسؤولي فتح يحاولون التقليل من أهمية هذه الجماعات، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون من فتح، مخيمات شاتيلا وعين الحلوة، نيسان/أبريل 2008، فلا شك في أن الحركات الجهادية قد كبرت، وخاصة في عين الحلوة. ويقر مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية أنه "بصرف النظر عن عددهم، يشكل الجهاديون في عين الحلوة تهديداً حقيقياً. فهم مسلحون ومدربون بشكل جيد ومنتشرون في كل أرجاء المخيم. إلا أنهم لا يسعون إلى المواجهة. وهم بشكل أساسي من الفلسطينيين الذين يكثر ثون لأمن المخيمات". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، صلاح صلاح، عضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ورئيس لجنة اللاجئيين في المجلس الوطني الفلسطيني، بيروت 2 آب/أغسطس 2008.

²⁰² يتهم بعض مسؤولي فتح حركة حماس بأنها تدعم هذه المجموعات من أجل إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية. "لا ترغب حماس في إزالة هذه الجماعات. فهم يريدون من الإسلاميين أن يهاجموا فتح. كما أن قادتهم عارضوا كل الإجراءات الهادفة إلى هزيمة فتح الإسلام بل وساعدوا على تقويتها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، اللينو، مسؤول عسكري في فتح، عين الحلوة، 29 آذار/مارس 2008.

²⁰³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، علي يوسف، إمام مسجد خالد بن الوليد في عين الحلوة وعضو رابطة علماء فلسطين، صيدا 29 كانون الأول/ديسمبر 2008.

²⁰⁴ قام أعضاء من عصابة الأنصار في عام 1995 باغتيال نزار الحلبي وهو رئيس منظمة إسلامية اجتماعية مهمة تعرف باسم الأحباش. وقد اعتبرت الجريمة في حينها تهديداً واضحاً لسلطة سوريا، إذ أن دمشق كانت قد استثمرت في الأحباش لتكون وزناً مقابل تهديد محتمل من الحركات السنية. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون ومشايخ فلسطينيون ولبنانيون، بيروت وطرابلس والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-كانون الأول/ديسمبر 2008. وكما ذكر برنارد روجييه فإن الأحباش كانت بالنسبة إلى سوريا "آلية لممارسة السيطرة الأمنية على الساحة الدينية، وسيلة لإحداث انقسام داخل الإسلام السني وسلاحاً ضد التيار الإسلامي السياسي". "الجهاد اليومي"، المصدر المذكور سابقاً، الصفحات 104-105. من المعروف أن أجهزة الاستخبارات السورية واللبنانية قامت خلال التسعينيات باعتقال وتعذيب المئات من الإسلاميين السنة، ويظهر ذلك خوف سوريا من التيار الإسلامي الجهادية. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون ومشايخ فلسطينيون ولبنانيون، بيروت وطرابلس والمخيمات الفلسطينية، كانون الثاني/يناير-أيار/مايو 2006 ونيسان/أبريل-كانون الأول/ديسمبر 2008.

²⁰⁵ مقابلة مجموعة الأزمات، شيخ لبناني، طرابلس، نيسان/أبريل 2006. وقد تكرر هذا الرأي على لسان شيخ آخر هو إمام مسجد في طرابلس.

²⁰⁶ مقابلة مجموعة الأزمات، طرابلس، 25 كانون الأول/ديسمبر 2008.

²⁰⁷ أنظر برنارد روجييه، "الجهاد اليومي"، المصدر المذكور سابقاً، الصفحات 145-146.

²⁰⁷ مقابلة مجموعة الأزمات، ماهر حمود، إمام مسجد القدس في صيدا، 23 كانون الأول/ديسمبر 2008. "يعترف أعضاء من عصابة الأنصار

الإسلام،²¹² واتصالات مزعومة بين مشايخ مقربين من تيار المستقبل وقادة الحركة الجهادية،²¹³ وما قيل عن سلبية قوى الأمن الداخلي (القريبة أيضاً من تيار المستقبل) والتي يدعي البعض أنها سمحت لفتح الإسلام بالنمو،²¹⁴ إضافة إلى اتهام تيار الحريري بتمويل هذه الجماعة.²¹⁵ وفي النهاية، من المرجح أنه لم يكن باستطاعة المقاتلين الجهاديين عبور الحدود دون علم سوريا وموافقتها. كذلك لم يكن من الممكن لفتح الإسلام البروز والاستقرار في شمال لبنان، الذي يعتبر معقلاً لتيار المستقبل، دون معرفة هذا الأخير. إذاً، لا شك في أن كلا الطرفين مارسا غض الطرف الإيجابي، في أحسن الأحوال.

ورغم تصاعد التوتر السني-الشيوعي، تجنبت الجماعات الجهادية المواجهة المفتوحة مع حزب الله أو الشيعة عموماً. ويعود ذلك لاختلال توازن القوى بينها وبين الحزب الشيوعي لمصلحة هذا الأخير كما رغبتها في توجيه أولوية صراعها ضد العدو المشترك أي الولايات المتحدة والغرب وإسرائيل.²¹⁶ ويقول أحد قادة فتح الإسلام بهذا الخصوص " لا يعارض تنظيمي مقاومة حزب الله لإسرائيل في جنوب لبنان، بصرف النظر عن خلافاتنا العقائدية. ليس لدينا اتصالات مع حزب الله، ولكننا لا نعاديهم ولا نعادي

212 مقابلة مجموعة الأزمات، مسؤولون لبنانيون وفلسطينيون، طرابلس وصيدا وبيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيلول/سبتمبر 2008. وبحسب جريدة "النهار" اللبنانية، 21 آب/أغسطس 2007، فإن 42 من الأشخاص الذين تمت إدانتهم والبالغ عددهم 227 كانوا سعوديين.²¹³ يعرف هؤلاء المشايخ بعدائهم القوي تجاه حزب الله وخطابهم المعادي للشيعة عموماً. مقابلات مجموعة الأزمات، مسؤولون لبنانيون وفلسطينيون، طرابلس وصيدا وبيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل 2008-كانون الثاني/يناير 2009.

214 مقابلة مجموعة الأزمات، مسؤولون لبنانيون وفلسطينيون، طرابلس وصيدا وبيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيلول/سبتمبر 2008. وقد اتهم الجنرال عون قوى الأمن الداخلي في مؤتمر صحفي بالقول "لقد دخلت فتح الإسلام إلى لبنان بشكل غير شرعي. وقد علمت الأجهزة الأمنية بذلك ولم يقوموا بإيقافهم على الحدود... لقد تعاونت هذه الحركة مع قوة داخلية بشكل غير قانوني وغير شرعي". "النهار"، 22 أيار/مايو 2007.

215 وفقاً لأعضاء في المعارضة اللبنانية فإن هجوم فتح الإسلام على بنك البحر المتوسط المملوك للحريري والذي أدى إلى إطلاق المواجهات الأوسع كان ناجماً عن غضب الحركة من قرار تجريد حسابها. مقابلة مجموعة الأزمات، مسؤولون لبنانيون وفلسطينيون، طرابلس وصيدا وبيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيلول/سبتمبر 2008. ولكن تيار المستقبل ينكر ذلك بقوة ويشير إلى تحقيق ترأسه البنك المركزي لم يجد أي صلة على الإطلاق بين بنك البحر المتوسط وبين فتح الإسلام. ولم تنشر نتائج التحقيق بسبب السرية المصرفية. مقابلة مجموعة الأزمات، نادر الحريري، مدير مكتب الرئيس في تيار المستقبل، بيروت، 26 كانون الثاني/يناير 2009.

216 مقابلات مجموعة الأزمات، ماهر حمود، إمام مسجد القدس في صيدا، 23 كانون الأول/ديسمبر 2008؛ علي يوسف، إمام مسجد خالد بن الوليد في عين الحلوة وعضو رابطة علماء فلسطين، صيدا 29 كانون الأول/ديسمبر 2008. على سبيل المثال، امتنعت الجماعات الجهادية في عين الحلوة عن التدخل عندما وصل التوتر السني/الشيوعي إلى ذروته خلال استيلاء حزب الله على بيروت في أيار/مايو 2008. مقابلة مجموعة الأزمات، شيخ فلسطيني، صيدا، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وبالنسبة إلى أحداث أيار/مايو أنظر موجز مجموعة الأزمات، "لبنان: سلاح حزب الله يتحول إلى الداخل"، نفس المصدر المذكور سابقاً.

سوريا أيضاً بالسماح للجهاديين - وخاصة فتح الإسلام- عبور حدودها إلى شمال لبنان.²⁰⁸

كما يعتقد آخرون أن أطراف محلية وإقليمية أخرى غضت الطرف عن الوجود الجهادي في المخيمات إذ سعت إلى استخدام المتطرفين لأغراض خاصة. ويقول أحد الصحفيين اللبنانيين:

تريد سوريا إثبات أنها تملك مفتاح الاستقرار في لبنان. أما السعودية وتيار المستقبل فينظران إلى الجهاديين كقوة معادية للشيعة بشكل أساسي، وقد حاولا، مثل سوريا، اختراق هذه المجموعات. فالهدف بالنسبة لهما هو أن يتم استعمال هذه الجماعات من أجل مواجهة سوريا وحزب الله، أو ببساطة ضمان أن لا تصل الأطراف الأخرى إليهم أولاً.²⁰⁹

وفي ظل الغموض الذي يخيم على قضية فتح الإسلام، تتضح الدرجة التي يستخدم كل طرف نمو التيار الجهادي لإلقاء اللوم على الآخر، ما يوحي برضى ضمني للأطراف جميعاً رأوا في نشاط المجموعة الجهادية فائدة ما. ويعزُ معادو سوريا دور هذه الأخيرة إلى عناصر متعددة ك: حقيقة عبور مقاتلي فتح الإسلام من الحدود السورية؛ والدور الغامض لأحد حلفاء سوريا، أبو خالد العملة، في نشوء نزعة جهادية ضمن فتح الانتفاضة وفي تركيزها على لبنان؛²¹⁰ وإطلاق سراح شاكرك العبسي من السجن في سوريا بعد سنتين فقط من إدانتها.²¹¹

أما متهمو المملكة السعودية وتيار المستقبل، فيعمدون إلى أربعة ادعاءات هي: وجود أشخاص من جنسية سعودية بين مقاتلي فتح

أنهم أرسلوا مقاتلين إلى العراق. وهم فخرون بذلك. ما حدث في العراق كان استفزازاً لجميع المسلمين. وقد نظرت عصابة الأنصار إلى العراق على أنها أرض جهاد". مقابلة مجموعة الأزمات، علي يوسف، إمام مسجد خالد بن الوليد في عين الحلوة وعضو رابطة علماء فلسطين، صيدا 29 كانون الأول/ديسمبر 2008.

208 الكثير من أعضاء فتح الإسلام كانوا فلسطينيين أتوا من سوريا. كما اتهمت السلطات السورية أيضاً بتسهيل دخول المقاتلين الجهاديين إلى لبنان في طريق عودتهم من العراق. مقابلات مجموعة الأزمات، محمد الحاج، إمام مسجد التقوى في نهر البارد وعضو رابطة علماء فلسطين، أبو سمراء، شمال لبنان، 25 كانون الأول/ديسمبر 2008؛ أحمد أبوي، رئيس حركة الحرية والتنمية (المدعومة من تيار المستقبل) والمشرف العام على حملة السكنية الإسلامية، طرابلس، 5 كانون الثاني/يناير 2009.

209 مقابلة مجموعة الأزمات، صحفي لبناني، بيروت، 31 كانون الأول/ديسمبر 2008. ويقول محمد الحاج أن فتح الإسلام كانت تتمتع بعلاقات وثيقة مع مشايخ طرابلس المعروفين بعلاقاتهم الجيدة مع السعودية وتيار المستقبل. مقابلة مجموعة الأزمات، أبو سمراء، شمال لبنان، 25 كانون الأول/ديسمبر 2008.

210 كان أبو خالد العملة لأمين العام لفتح الانتفاضة. وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية بعد ظهور فتح الإسلام. مقابلة مجموعة الأزمات، أبو عدنان عودة، مسؤول العلاقات العامة والشؤون السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، مخيم البداوي، 28 أيلول/سبتمبر 2008.

211 أدين العبسي في عام 2003 بتهرب السلاح نحو الأردن. وتم إطلاق سراحه في عام 2005. أنظر الموقع www.aljazeeraatalk.net/forum/showthread.php?=&threadid=40053. ويعتبر البعض إطلاق سراحه المفاجئ كدليل على استخدام سوريا لفتح الإسلام. مقابلات مجموعة الأزمات، مسؤولون لبنانيون وفلسطينيون، طرابلس وصيدا وبيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيلول/سبتمبر 2008.

وغيرهم من أجل القتال في العراق،²²² بأنها قد تحولت إلى "ملاذ آمن للهاربين ووكالة سفر بالنسبة للمتطوعين للجهاد".²²³

ونتيجة لذلك، لهذه الجماعات مصلحة في الحفاظ على الوضع الراهن في المخيمات وتجنب تدخل الدولة والتوصل إلى تفاهات ضمنية مع مختلف اللاعبين المحليين.²²⁴ ففي عين الحلوة أصبح يُنظر إلى عصابة الأنصار من قبل كل الفصائل الفلسطينية - بما فيها عدوها التقليدي فتح- على أنها شريك أساسي في حفظ أمن المخيم.²²⁵ كما يلعب قائد الحركة الإسلامية المجاهدة جمال خطاب دور الوساطة بين كبرى الفصائل الفلسطينية والجماعات الأكثر تطرفاً في عين الحلوة.²²⁶

وتعتبر مجموعة فتح الإسلام في هذا الإطار استثناءً أكثر منها القاعدة إذ لم يكن لها جذور عميقة في المخيمات،²²⁷ خلافاً لمعظم الجماعات الجهادية الأخرى. كما أن معظم أعضائها لم يكونوا

الشيعة في لبنان لأنهم يقاومون المشروع الأمريكي على خلاف شيعة العراق. وعليه، ليس لفتح الإسلام أي نية في تنفيذ عمليات ضد الشيعة في لبنان".²¹⁷

تأتي الجماعات الجهادية بما هو أكثر من مشروع جماعي جديد. فهي تقدم أيضاً نموذجاً لتحقيق الذات مبنياً على القيم الإسلامية التي تلاقي استحساناً في بيئة يسيطر عليها الإدمان على الكحول والمخدرات والجرائم. ويشكل اللاجئون هدفاً سهلاً بسبب الالتزام الديني عند الأغلبية إضافة إلى معاناتهم من تمييز السلطات الحكومية لهم. ويعتبر أكثر فاكثراً من اللاجئين إقصاءهم الاجتماعي والاقتصادي كأحد أشكال الاضطهاد الديني، مقتنعين بأن سبب معاقبتهم هو عقيدتهم الإسلامية. ويقول أحد المقاتلين الإسلاميين من طرابلس:

يتعرض الفلسطينيون إلى التهميش والقمع لأنهم من السنة. معاناتهم هي نتيجة لحرب الصليبيون والأنظمة العربية الخائنة ضد الإسلام. ولو كانوا من المسيحيين أو الأرمن لكان وضعهم أفضل بكثير، وكانوا منحوا الجنسية وتمتعوا بالحقوق جميعها.²¹⁸

بسبب غياب الدولة شبه الكامل، أصبحت المخيمات في الواقع أماكن لتخزين الأسلحة وملاذاً للبنانيين والفلسطينيين الهاربين من السلطات اللبنانية، تكون مخالفتهم في أكثر الأحيان بسيطة.²¹⁹ وأصبح هذه الفئة من اللاجئين محتجزة في المخيمات دون أي أفق للمستقبل. وعليه، أصبحوا هدفاً سهلاً يتم تجنيدهم للجهاد إذ تؤمن لهم الجماعات الجهادية الحماية والانتماء الاجتماعي، وفي كثير من الأحيان قضية يؤمنون بها. ويعلق على ذلك أحد المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية قائلاً "إنهم محتجزون في المخيمات وليس لديهم أي أمل بالمستقبل. وهم يخشون أن يعيشوا بقية حياتهم كهاربين من العدالة، لذلك من السهل التلاعب بهم وتجنيدهم".²²⁰

تحول تركيز الجهاديين بشكل متزايد في السنوات الأخيرة إلى الساحة الدولية. ولما ازدادت أكثر الصعوبة في محاربة إسرائيل، تحولت الجماعات الجهادية في المخيمات إلى الجهاد العالمي ضد الغرب بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص. يقول أحد الناشطين الإسلاميين "تبقى قضية فلسطين هي القضية المركزية بالنسبة للمجاهدين الفلسطينيين. ولكن، ولأن القتال في فلسطين أصبح شبه مستحيل، اتخذوا من القوات الأمريكية في العراق هدفاً بديلاً".²²¹ وكذلك ضعف الدولة المركزية في لبنان، والفراغ المؤسساتي والأمني والسياسي في المخيمات جعلها هدفاً ممتازاً للحركات الجهادية العالمية. وقد وُصفت الجماعات المقاتلة في المخيمات، والتي يقال أنها جندت المئات من الفلسطينيين واللبنانيين

²²² مقابلات مجموعة الأزمات، ماهر حمود، إمام مسجد القدس، صيدا، 23 كانون الأول/ديسمبر 2008؛ علي يوسف، إمام مسجد خالد بن الوليد في عين الحلوة وعضو رابطة علماء فلسطين، صيدا 29 كانون الأول/ديسمبر 2008. أنظر أيضاً "النهار"، 8 حزيران/يونيو 2007، و فداء عيتاني، "الجهاديون في لبنان"، (بيروت، 2008).

²²³ أنظر وكالة الصحافة الفرنسية، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2007. بحسب مراقب محلي، قامت عصابة الأنصار وجماعات جهادية فلسطينية أخرى بتزوير جوازات سفر، كما قامت بتسهيل وتمويل سفر المقاتلين إلى العراق أو أفغانستان وفي بعض الحالات إلى أماكن أخرى من أجل تأسيس علاقات مع شبكات جهادية عالمية. مقابلة مجموعة الأزمات، طرابلس، نيسان/أبريل 2006.

²²⁴ يشكل عين الحلوة مثالا جيدا كيف أن اللاعبين المحليين يسعون إلى تجنب المصادمات مع الجماعات الجهادية. فالواجهة بالنسبة إلى حزب الله يمكن أن تؤدي إلى تعميق التوترات الطائفية وبالتالي تعريضه بشكل أكبر لاتهامه بجماعة شيعية ضيقة. أنظر تقرير مجموعة الأزمات، "حزب الله والأزمة اللبنانية"، المصدر المذكور سابقاً. أما حركة فتح، فهي من ناحيتها حذرة من مواجهة مع عصابة الأنصار لا يمكن ضمان نتائجها. كما أن تيار المستقبل وبخاصة عائلة الحريري تخشى أن يهدد حدوث أزمة مع الجماعات الجهادية هيمنتها على الطائفة السنية.

²²⁵ خلال إحدى الأزمات في عام 2004 شاركت عصابة الأنصار في الجهود الرامية إلى إجبار جند الشام على الخروج من أحد الأحياء الشمالية في المخيم. مقابلات مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-تشرين الأول/أكتوبر 2008.

²²⁶ مقابلات مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-أيار/مايو 2008.

²²⁷ ورد ذكر فتح الإسلام لأول مرة في تشرين الثاني/نوفمبر 2006 عندما تحدثت وسائل الإعلام اللبنانية والعربية عن تلك المنظمة التي لم تكن معروفة من قبل. أنظر "السفير"، 28 تشرين الثاني/نوفمبر 2007. في البداية كان أعضاؤها يتوزعون على المخيمات الفلسطينية، وبعد ذلك سعى الأعضاء الجدد إلى بناء معظم قواتهم في البداوي بالقرب من طرابلس على أمل الحصول على الدعم من الزعماء الدينيين الأقوياء في هذه المدينة. وبحلول أيلول/سبتمبر 2006 كان أفراد غرباء عن المخيم قد استأجروا اثنتا عشر شقة في مخيم البداوي بمساعدة من أحد السلفيين في المخيم. لكنهم أجبروا بعد مواجهة مع اللجنة الأمنية في البداوي على اللجوء إلى نهر الباراد. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مسؤولون ومشايخ فلسطينيون ولبنانيون، طرابلس وصيدا والمخيمات الفلسطينية، آب/أغسطس-أيلول/سبتمبر 2007.

²¹⁷ أبو هريرة وهو رئيس اللجنة العسكرية في فتح الإسلام، في مقابلة له مع "الحياة"، 25 أيار/مايو 2007.

²¹⁸ مقابلة مجموعة الأزمات، طرابلس، آذار، 2006.

²¹⁹ مقابلة مجموعة الأزمات، مسؤولون فلسطينيون وناشطون في منظمات غير حكومية تعمل في المخيمات، بيروت والمخيمات الفلسطينية، نيسان/أبريل-تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

²²⁰ مقابلة مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار عباس زكي، بيروت، 10 أيلول/سبتمبر 2008.

²²¹ مقابلة مجموعة الأزمات، جمال خطاب، رئيس الحركة الإسلامية المجاهدة، عين الحلوة، 29 آذار/مارس 2008.

وبخيانة المبادئ السلفية".²³³ وإن كان لا شيء يدل على أن المشكلة تزداد سوءاً، إلا أن أحد أئمة المساجد يقول "لا أحد يعرف متى يمكن للبنان أن يتحول إلى ساحة قتال بالنسبة للجهاديين".²³⁴

من الفلسطينيين.²²⁸ ويقول أحد المسؤولين الفلسطينيين "إن أعضاء الجماعات مثل عصبة الأنصار والحركة الإسلامية المجاهدة ولدوا ونشؤوا في المخيمات وسكان المخيمات يعرفونهم. أما أعضاء فتح الإسلام فكانوا غرباء".²²⁹ لقد ظهرت فتح الإسلام نتيجة لتقاطع الشبكات الجهادية الخارجية (بالتحديد تلك التي أسسها أبو مصعب الزرقاوي في العراق) مع الحركات الإسلامية اللبنانية والفلسطينية الموجودة أصلاً،²³⁰ مجندة في البدء مقاتلين إلى العراق قبل أن يتحول اهتمامها إلى الدولة المضيفة. ولهذه الأسباب، لم تعتمد فتح الإسلام فعلياً على عكس غيرها من التنظيمات داخل المخيمات، إلى تجنب المواجهة مع سلطات الدولة.

ولرفض عصبة الأنصار دعم إخوانها الجهاديين وفتح جبهة ثانية في عين الحلوة مدلولات هامة. عانى قادة العصبة من مصادماتهم السابقة مع الجيش وكانوا مصممين على حماية مكانتهم في المخيمات، فسعوا إلى الحفاظ على علاقتهم بالدولة اللبنانية وباللبيين المحليين.²³¹ وفي أعقاب أحداث نهر البارد، قلصت المجموعات الجهادية داخل المخيمات نشاطها تجنباً لتكرار ما حصل. ويؤكد أحد الزعماء الفلسطينيين أنهم "لا يرغبون رؤية ما حدث في نهر البارد يتكرر في مخيمات أخرى. لذا، أصبح التعامل مع هذه الجماعات أسهل بكثير من قبل".²³²

ولكن رغم ذلك ومع عودة المزيد من الجهاديين من العراق يبقى خطر الاضطراب الناشئ عن المخيمات قائماً. فالمخيمات تبقى جذابة بالنسبة إلى القوى الجهادية، وهناك بوادر استياء من البراغمية النسبية التي تظهرها بعض الجماعات. فقد اتهمت جند الشام المنشقة عن عصبة الأنصار قادة الجماعة بـ "المساومات

²²⁸ قامت هذه الجماعة بتجنيد متطوعين في لبنان وسوريا والعراق والسعودية واليمن. وكان بين المقاتلين الذين تمت إدانتهم أشخاص من الجنسية اللبنانية والفلسطينية والسعودية والسورية والجزائرية والتونسية واليمنية والعراقية. أنظر *النهار*، 21 آب/أغسطس 2007.

²²⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو خالد الشمال، ممثل جبهة النضال الشعبي الفلسطيني في لبنان، مخيم شاتيلا، 6 نيسان/أبريل 2008. وقد كرر هذا الرأي أشخاص آخرون: مقابلات مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار عباس زكي، بيروت، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ أسامة حمدان، ممثل حماس في لبنان، الضاحية الجنوبية لبيروت، 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2008؛ صلاح صلاح، عضو في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ورئيس لجنة اللاجئيين في المجلس الوطني الفلسطيني، بيروت 2 آب/أغسطس 2008.

²³⁰ مقابلة مجموعة الأزمات، شيخ لبناني، طرابلس، 26 آب/أغسطس 2007.
²³¹ في 11 تموز/يوليو 2002 قام إسلامي لبناني بقتل ثلاثة من أجهزة الاستخبارات في لبنان، والتجأ بعدها إلى حماية عصبة الأنصار في عين الحلوة. وبعد عدة أيام من المفاوضات المكثفة وافقت عصبة الأنصار على تسليمه إلى السلطات. وبرتت قرارها لاحقاً بتحقيق المصالح العليا للإسلام. منشورات نداء الإسلام الجهادية على الإنترنت، تشرين الثاني/نوفمبر 2002، والواردة في كتاب روجييه "الجهاد اليومي"، المصدر المذكور سابقاً، الصفحة 138.

²³² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو خالد الشمال، ممثل جبهة النضال الشعبي الفلسطيني في لبنان، مخيم شاتيلا، 6 نيسان/أبريل 2008. ويقول الشيخ جمال خطاب، رئيس الحركة الإسلامية المجاهدة: "لا يمكننا أن نهدد أمن المخيم أو قاطنيه من أجل حماية شخص واحد أو أكثر. فسلامة المخيم فوق كل اعتبار". "السفير"، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

²³³ "السفير"، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. ووفقاً للشيخ علي يوسف فإن "عددًا من أعضاء عصبة الأنصار قد تركوا الحركة وانضموا إلى فتح الإسلام. فقد كان تعاون عصبة الأنصار مع الجيش بنظرهم خيانة. فيجب على المسلمين الحقيقيين تجنب كل الاتصالات مع الطرف الذي قتل إخوانهم في نهر البارد". مقابلة مجموعة الأزمات، إمام مسجد خالد بن الوليد في عين الحلوة وعضو رابطة علماء فلسطين، صيدا 29 كانون الأول/ديسمبر 2008.
²³⁴ مقابلة مجموعة الأزمات، ماهر حمود، إمام مسجد القدس في صيدا، 23 كانون الأول/ديسمبر 2008.

V. خاتمة: حرب غزة والمخيمات ومستقبل لبنان

أعدت حرب غزة 2008-2009 إلى السطح الأبعاد المتعددة للوجود الفلسطيني في لبنان: التضامن الفوري والقوي مع الأخوة الذين يتعرضون إلى هجوم وخطر ميل المخيمات إلى الراديكالية وامتداد العنف وموضوع الأسلحة وهاجس التوطين. والأهم، جاءت الحرب على غزة لتعيد إلى الذاكرة شعور الفلسطينيين بالضعف والمخاوف من أخطار جديدة.

منذ بدء الحرب في 27 كانون الأول/ديسمبر، قامت الجماعات الفلسطينية بتنظيم مظاهرات يومية واعتصامات وفعاليات أخرى في المخيمات.²³⁵ وبالنسبة لقوى التحالف، اعتبرت الحرب ذات أهمية بالغة ومخاطر شبيهة وجودية. وكما يأتي على لسان أحد مسؤولي الجهاد الإسلامي، "تشكل هذه الحرب صراعاً بين مشروعين في المنطقة، مشروع المقاومة ومشروع التسوية. لا يمكننا السماح بكسر حماس وفصائل المقاومة، وسنبذل كل ما في وسعنا من أجل منع ذلك".²³⁶

وحتى حركة فتح، أخذت موقفاً صارماً. فخلافاً للوضع في الأراضي المحتلة، بدا أن الحرب قربتها من حماس على الأقل ظاهرياً، نتيجة للضغط الشعبي على الأرجح.²³⁷ وبالعكس الرئيس عباس، امتنع عباس زكي عن انتقاد الحركة الإسلامية محملاً إسرائيل وحدها المسؤولية.²³⁸ وتلقى ممثلًا حركتي فتح وحماس في اجتماع برئاسة الحكومة اللبنانية لتتسيق جهود المساعدة إلى غزة.²³⁹ وقال حمدان أن "موقف عباس زكي سيكون له أثر إيجابي على مستقبل علاقتنا مع فتح في لبنان. فقد تصرف بحس كبير من المسؤولية. ومن الممكن أن يساعد ذلك في التوصل إلى قيادة أكثر توحداً في لبنان".²⁴⁰

²³⁵ مقابلات مجموعة الأزمات، سكان ومسؤولون فلسطينيون، بيروت والمخيمات الفلسطينية، كانون الأول/ديسمبر 2008-كانون الثاني/يناير 2009. وبالنسبة للحرب على غزة أنظر موجز مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط رقم 26، "إنهاء الحرب في غزة"، 5 كانون الثاني/يناير 2009. ²³⁶ مقابلات مجموعة الأزمات، أبو وسام محفوظ مسؤول الجهاد الإسلامي في مخيم البداوي، 6 كانون الثاني/يناير 2009. وقد كرر هذا الرأي مسؤولون آخرون بمن فيهم أسامة حمدان (حماس) وأبو عدنان عودة (الجهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة) في مقابلات مع مجموعة الأزمات، 30 كانون الأول/ديسمبر 2008 و6 كانون الثاني/يناير 2009 على الترتيب. ²³⁷ مقابلات مجموعة الأزمات، مسؤولون وسكان فلسطينيون، بيروت وصيدا ومخيم البداوي، كانون الأول/ديسمبر 2008-كانون الثاني/يناير 2009.

²³⁸ أنظر الموقع www.maannews.net/index.php?opr=Show&Details&ID=34308. لقد انتقد كثير من اللاجئين موقف الرئيس عباس الذي نظر إليه الكثيرون على أنه يقف على الحياد ويلوم حماس جزئياً على الحرب. وقد وصفت إحدى النساء اللاجئات موقفه بأنه "مخز. ألم يشاهد القتلى؟". مقابلة مجموعة الأزمات، بيروت، 7 كانون الثاني/يناير 2009. ²³⁹ "أوربان لوجور"، 29 كانون الأول/ديسمبر 2008.

²⁴⁰ مقابلة مجموعة الأزمات، أسامة حمدان، ممثل حماس في لبنان، الضاحية الجنوبية لبيروت، 30 كانون الأول/ديسمبر 2008. ولكن رغم ذلك فقد عادت الخلافات إلى الظهور في أعقاب الحرب، وخاصة بسبب اقتراح حماس بإيجاد بديل عن منظمة التحرير الفلسطينية. أنظر الموقع www.arabnet5.com/news.asp?c=2&id=20864. مقابلة أجرتها

ورغم مطالبة البعض بفتح "جبهة ثانية"²⁴¹ في لبنان، لا يبدو أن هذا الخيار كان جدياً، وعارضه حزب الله. واعتبرت مقاومة حماس "مرضية"، لا تستوجب مد يد العون العسكرية.²⁴² ولكن، أطلق عدد من الصواريخ من جنوب لبنان باتجاه إسرائيل في 8 و14 كانون الثاني/يناير 2009، بينما قام الجيش اللبناني وقوات الطوارئ الدولية (يونيفيل) بإبطل بعض آخر قبل وبعد العملية الإسرائيلية في غزة.²⁴³ وبحسب أحد مسؤولي اليونيفيل "من المرجح أنه كانت هناك محاولات أخرى تم إحباطها من قبلنا ومن قبل الجيش اللبناني".²⁴⁴ ورغم أن هذه المحاولات كانت غير منسقة وذات تأثير محدود، إلا أنها كانت إنذاراً خطيراً.²⁴⁵

إضافة إليه، أدت الحرب إلى إحياء الجدل الداخلي حول الجوانب المختلفة للوجود الفلسطيني. فجدد بعض القادة في تحالف 14 آذار الدعوة إلى نزع السلاح الفلسطيني خارج المخيمات، مستشهدين بإطلاق الصواريخ.²⁴⁶ أما التيار العوني، فاستخدم هذه الحرب ليحذر من خطر التوطين، معتبراً العمليات العسكرية محاولة إسرائيلية جديدة لضرب القوى المطالبة بحق العودة.²⁴⁷

مجموعة الأزمات، كمال ناجي، مستشار عباس زكي، 30 كانون الثاني/يناير 2009.

²⁴¹ قال أحد المسؤولين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة مشيراً إلى رئيس الجماعة "لقد أكد أحمد جبريل أننا مستعدون لفتح جبهات ثانية. لم ينكر لبنان بالتحديد. ولكن سيتم تجنيد كل الحركات إذا ما شعرنا أن قوى المقاومة في غزة تهزم". مقابلة مجموعة الأزمات، أبو عدنان عودة، 6 كانون الثاني/يناير 2009.

²⁴² المرجع السابق. أنظر أيضاً خطاب الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله: "يقف هذا الجيش [الإسرائيلي] القوي عاجزاً وغير قادر على تحقيق أهدافه في وجه مقاومة ذات قدرات متواضعة لكنها ذات إرادة قوية". مقتطف من الخطاب على الموقع www.almanar.com.lb/NewsSite/NewsDetails.aspx?id=69425&language=en.

كما قال في خطاب آخر "علينا أن نتذكر دوماً أن كل الاحتمالات واردة". تلفزيون المنار، 7 كانون الثاني/يناير 2009.

²⁴³ مقابلة مجموعة الأزمات، ميلوس شتروغار، مدير الشؤون السياسية والمدنية، قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (يونيفيل)، بيروت، 27 كانون الثاني/يناير 2007. أنظر أيضاً "هااريتز"، 4 شباط/فبراير 2009.

²⁴⁴ المرجع نفسه.

²⁴⁵ نفى حزب الله بسرعة أي مسؤولية له. ورأى المحللون تورط الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، رغم أنها هي أيضاً أصدرت بياناً تنكر ضلوعها في هذا الحادث. ويدل النوع البدائي للصواريخ على الميل إلى تيرنة حزب الله، رغم أنه من الصعب تخيل أن تقوم أي جماعة بإطلاق الصواريخ من الجنوب بدون معرفة وموافقة الحركة الشيعية. ويقول أحد المسؤولين في الأمم المتحدة "كان هناك خوف في الجنوب من تجدد القتال بين حزب الله وإسرائيل. فما تزال ذكريات حرب 2006 حاضرة في الأذهان. لم تتسبب الصواريخ التي أطلقت بأضرار كبيرة. ولكنها لو كانت أصابت مدرسة إسرائيلية وقتلت الأطفال، أو لو أن الرد الإسرائيلي كان قد أدى إلى قتل مواطنين لبنانيين، لكان ذلك جر الطرفين باتجاه تصعيد غير مرغوب فيه". المصدر السابق.

²⁴⁶ صرح وليد جنبلاط أن "السلاح الفلسطيني خارج مخيمات اللاجئين يشكل خطراً كبيراً على لبنان"، "ذا دايلي ستار"، 12 كانون الثاني/يناير 2009.

²⁴⁷ وبحسب ما قاله عون فإن "الهدف من هذه الحرب هو تدمير المقاومة في المنطقة وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين بشكل دائم". كما ورد في الموقع <http://mplbelgique.wordpress.com/?tag=europe>.

ولحسن الحظ، لم تؤد حرب غزة إلى اضطراب متجدد في المخيمات، رغم الإشارات التحذيرية الواضحة بما في ذلك التعبئة السياسية والميل إلى الراديكالية وإعادة التأكيد على دور السلاح. ويتموضع الفلسطينيون على قمة خطوط تصدع خطيرة، لا تزال بعيدة من الحل، بين الأطراف اللبنانية في ما بينها، وبين الفلسطينيين وإسرائيل، وبين الأطراف الفلسطينية نفسها، وبين الدول العربية المختلفة، وبالطبع بينها وبين المجتمع اللبناني الأوسع.

ينتج هذا الوضع المتصدع عن سنوات إهمال وسوء إدارة الأزمة من قبل الدولة اللبنانية التي أغفلت جوانب الوجود الفلسطيني مركزاً على الجانب الأمني. وبسبب انعدام الوسائل للتقدم الاجتماعي والاقتصادي، وشعورهم بالهشاشة في شتى المجالات – السياسية والقانونية وفوق كل هذا الأمنية – أصبحت المخيمات تضم لاجئين غاضبين، مسلحين، ومحرومين من أي أفق للمستقبل، ما يشكل مزيجاً خطيراً. كما أصبحت هذه المخيمات أرضاً خصبة بالنسبة إلى المقاتلين الجهاديين، وأداة يمكن لأطراف خارجية التلاعب بها. وفي هذا الإطار فإن تغير مقاربة الدولة اللبنانية والذي بدأ عام 2005 هو موضع ترحيب ويبدل على الوعي بأن استمرار الوضع الراهن لن يأت بنتائج إيجابية لا للاجئين ولا للبنان نفسه. لكن يجب ترجمة هذه السياسة الجديدة خطوات ملموسة من قبل الأطراف جميعاً، من خلال التركيز على ثلاثة مستويات:

توضيح وضع اللاجئين وتحسين ظروف المخيمات. وهذه خطوة أولى ضرورية تمكن الحكومة اللبنانية من تعزيز المكاسب التي تحققت منذ عام 2005، كما أنها تقلل من مخاطر التيارات الراديكالية والجهادية في المخيمات. وعادة ما كانت تُنقذ مثل هذه التحسينات على أنها تؤسس للتوطين. إلا أن هذا لا أساس له لأن مصير اللاجئين يتوقف أولاً وبالدرجة الأولى على تسوية شاملة للصراع العربي-الإسرائيلي، لا على تقديم لهم مستوى أفضل يسمح لهم بالعيش بشكل طبيعي في الدول المضيفة. كما أن هذا الافتراض خطير في مضمونه المذهبي الواضح الذي يساعد الجهاديين في محاولتهم تصوير الصراع على أنه حرب ضد السنة. وتقديراً لهذا الخطأ، خاصة أن مسألة التوطين تُستخدم بشكل كبير كأهداف انتخابية خلال موسم الانتخابات، من الضروري توضيح معنى التوطين ووضع اللاجئين القانوني على أن يرتبط التوطين باكتساب الجنسية اللبنانية و/أو حق التصويت. فمن حق اللاجئين الفلسطينيين أن يتمتعوا بكل الحقوق الأساسية باستثناء الجنسية والصويت، خاصة حقي العمل التملك.

مراجعة المقاربة الأمنية تجاه المخيمات. لقد كان الصراع المدمر في نهر البارد بمثابة إدانة للأسلوب السابق في المخيمات والذي لم يقم إلا بالقليل من أجل تحسين الأمن بينما أدى إلى تعميق التوترات مع اللاجئين وسمح بانتشار التيار الجهادي في المخيمات. وفي أعقاب أحداث نهر البارد، أبدت معظم الفصائل الفلسطينية - بما فيها بعض من التي تعتبر جهادية -- رغبة متزايدة في التعاون حول المسائل الأمنية الأمر الذي يعتبر فرصة لتشكيل آليات تنسيق بين الفصائل والسلطات اللبنانية. فعلى الفصائل أن تسعى إلى ضمان استقرار المخيمات وتمنع المظاهر المسلحة فيها، وأن تحترم سيادة الدولة المضيفة، بينما تعمل السلطات اللبنانية على تحديد قانوني وواضح لسلوك القوى الأمنية المحلية ومعاقبة المخالفات بشدة، وعلى تسهيل الدخول إلى نهر البارد من قبل الأطفال والمسنين وأقارب سكان المخيم. كما يجب على الفلسطينيين واللبنانيين أن

وبالنسبة لجميع الفلسطينيين في لبنان سواء كانوا مؤيدين لحماس أم لا، أدت الحرب إلى إحياء وتغذية شعور عميق بانعدام الأمان الأمر الذي عبر عنه أحد سكان المخيمات قائلاً "العالم بكامله يقف متفرجاً بينما الشعب الفلسطيني يُدبح في غزة. ومعظم الأنظمة العربية شريكة في هذا العدوان. هذا فقط يذكرنا بأن لا نصير لنا سواء في غزة أو في لبنان أو في أي مكان آخر. ولا يمكننا الاعتماد إلا على أنفسنا من أجل الحماية"²⁴⁸ وكنتيجة طبيعية، يستشعر تجدد الميل إلى الراديكالية داخل المخيمات. ويقول أحد الشبان:

كنت في الماضي من أنصار السلام. ولكن منذ أحداث غزة لم أعد أؤمن بالسلام أبداً. كما كنت أعارض حركة حماس أما الآن فأصبحت مؤيداً لها. أعتقد أن علينا متابعة نضالنا رغم كل المجازر التي ارتكبوها بحقنا"²⁴⁹.

وتستحضر الجماعات الجهادية حرب غزة لجذب وتجنيد المزيد من المقاتلين. وقد ذهب البعض إلى حد التنبؤ بأن هذه الظروف مؤاتية لازدهار منظمات شبيهة بالقاعدة، خاصة في حال هزمت حماس بشكل كامل. وخلال الحرب، قال أحد الناشطين الإسلاميين "إذا خسرت حماس فستفوز الجماعات المتطرفة. البديل لحماس ليس فتح وإنما القاعدة"²⁵⁰.

وسيكون من النتائج المرجحة لهذه الحرب تزايد رفض الفلسطينيين لتسليم أسلحتهم. ويشرح ذلك أسامة حمدان بالقول:

إن السلاح الفلسطيني مسألة شديدة الحساسية، فنحن هنا نتحدث عن حزمة كاملة تشمل حقوق الفلسطينيين وأمن المخيمات والأمن المدني للاجئين الفلسطينيين. كما أن حرب غزة أدت إلى ازدياد الشعور بانعدام الأمان في المخيمات. الفلسطينيون يشعرون بالحاجة إلى حماية أنفسهم ما يزيد تمسكهم بالأسلحة.²⁵¹

وفي نفس الوقت، أظهرت الحرب من جديد حدود هذه الأسلحة في خدمة هدفها الأصلي وهو القتال ضد إسرائيل. فعلى الرغم من حجم القتل والدمار وما تلاه من غضب شديد بين اللاجئين، اتضح الأمر أكثر من أي وقت مضى. فبينما "المقاومة" قائمة في غزة، السلاح في لبنان يهدف إلى الحفاظ على الذات بشكل أساسي. إذا، يرتبط السلاح الفلسطيني بشعور بانعدام الأمان أكثر منه بمشروع الكفاح المسلح الوطني.

²⁴⁸ مقابلة مجموعة الأزمات مع أحد السكان الفلسطينيين، بيروت، 5 كانون الثاني/يناير 2009. كما ورد هذا الرأي على لسان سكان ومسؤولين فلسطينيين آخرين، مقابلات مجموعة الأزمات، طرابلس وبيروت ومخيم البداوي، 5-6 كانون الثاني/يناير 2009.

²⁴⁹ مقابلة مجموعة الأزمات مع أحد السكان الفلسطينيين، بيروت، 6 كانون الثاني/يناير 2009.

²⁵⁰ مقابلة مجموعة الأزمات، رئيس حركة الحرية والتنمية والمشرف العام على حملة السكنية الإسلامية، طرابلس، 5 كانون الثاني/يناير 2009. كان كثير من سكان المخيمات غاضبين بشكل كبير من "تواطؤ" الأنظمة العربية، والذي سيؤدي كما يرى الكثيرون إلى تحولهم إلى الراديكالية. مقابلات مجموعة الأزمات، مسؤولون وسكان فلسطينيون، كانون الأول/ديسمبر 2008 - كانون الثاني/يناير 2009.

²⁵¹ مقابلة مجموعة الأزمات، أسامة حمدان، ممثل حماس في لبنان، الضاحية الجنوبية لبيروت، 27 كانون الثاني/يناير 2009.

لبنان شدة الانقسام الحاصل في الأراضي المحتلة. ولكن وعلى الرغم أن الحرب في نهر الباراد كان لها العديد من الأسباب، فمن الواضح أن النزاع الفلسطيني كان أحد هذه الأسباب.

ويمكن الحل هنا في تشكيل آليات مؤسساتية فاعلة قادرة على ضمان أمن المخيمات وتحسين لبنان قدر الإمكان من أثار المنافسة المحتمة بين فتح وحماس في الأراضي المحتلة، وتسهيل المفاوضات الفعالة مع الدولة اللبنانية. ومن بين أهم الخطوات يأتي تأسيس قيادة سياسية موحدة من أجل تنسيق إدارة المخيمات وإصلاح المنظمة المكلفة حالياً بالأمن والنظام في المخيمات من خلال توسيع عضويتها لتشمل كل الفصائل والاتفاق على اتخاذ القرارات فيها بالإجماع والاتفاق أيضاً على أنها المنظمة الفلسطينية الوحيدة المسؤولة عن أمن المخيمات.

تمثل مخيمات اللاجئين مزيجاً انفجارياً خطيراً، فهي تجمع الحرمان الاجتماعي والاقتصادي مع التهميش السياسي وانعدام الثقة بالدولة المركزية وعدم فاعلية المؤسسات الأمنية والتيارات الراديكالية والأسلحة والقيادة المنقسمة. ومن حسن الحظ أن الصراع في غزة لم يؤدي إلى اشتعال هذا المزيج. ولكن من المحتمل أن الشرارة التالية سواء كانت داخلية أو إقليمية ستشتعل قريباً جداً. لذا ليس هناك وقت لنضيعه.

بيروت/بروكسل، 19 شباط/فبراير 2009

يتفقوا بشكل سريع على آلات تنظم وجود السلاح في المخيمات. وفي هذا السياق أيضاً يجب على الرئيسين اللبناني والسوري البدء في مفاوضات بهدف تفكيك القواعد العسكرية الفلسطينية خارج المخيمات.

تعزيز التعاون اللبناني-الفلسطيني والفلسطيني-الفلسطيني. كما يظهر من هذا التقرير بوضوح فإن إحدى العقبات الأساسية في وجه التقدم تتمثل في سوء التنسيق بين الدولة والمسؤولين الفلسطينيين، وكذلك بين الفلسطينيين أنفسهم. وكل من هذين الجانبين بحاجة إلى إصلاح. فمن الجهة الأولى يجب تقوية لجنة الحوار اللبناني-الفلسطيني، كما يجب على الفصائل الفلسطينية من جانبها أن تشكل نظيراً لهذه اللجنة. وعلى لبنان أن يقوم وعلى الفور بالحوار مع الفصائل الفلسطينية ولاجئي نهر الباراد في اتخاذ القرارات التي تتعلق بمستقبل المخيم من خلال عقد اجتماعات منتظمة مع السكان السابقين للمخيم، والتشاور مع المنظمات التي كانت تدير المخيم قبل تدميره.

أما على الجانب الفلسطيني فقد كانت الانقسامات مكلفة، ومن الممكن أن تصبح أكثر كلفة أيضاً. فقد أدى الصراع بين فتح وحماس وامتداد تأثيره إلى لبنان، والمعركة الدائرة بين هاتين المنظميتين على سيادة المخيمات إلى زيادة الشعور بعدم الأمن، كما أنه أعطى حياة جديدة إلى فصائل جهادية أصغر وحال دون ظهور موقف فلسطيني متماسك وقيادة فاعلة. وحتى الآن فقد تم احتواء هذا الصراع، وتم تجنب

الملحق أ

خارطة المخيمات الفلسطينية في لبنان



الملحق ب

الفصائل الفلسطينية الرئيسية في لبنان

□ الفصائل الرئيسية في منظمة التحرير الفلسطينية:

- فتح (حركة التحرير الفلسطيني)، والتي أسسها ياسر عرفات في عام 1959، وهي الفصيل المسيطر في منظمة التحرير الفلسطينية منذ تأسيسها. في البداية تبنت منظمة التحرير الفلسطينية الكفاح المسلح في تعاملها مع إسرائيل،²⁵² ولكنها تخلت عن هذا المبدأ رسمياً في عام 1993 عند توقيع اتفاق أوسلو.
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والتي أسسها جورج حبش عام 1967، وهي تجمع في إيديولوجيتها بين القومية العربية والماركسية.²⁵³ وقد توقفت في عام 1993 عن حضور اجتماعات اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية احتجاجاً على أوسلو، قبل أن تعود إلى حضور هذه الاجتماعات في إطار الانتفاضة الثانية عام 2000.²⁵⁴
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وهي فصيل منشق عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والتي كان انشقاقها بقيادة نايف حواتمة عام 1969، وهي ذات نزعة ماركسية-لينينية. ومثلما فعلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد قامت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بمقاطعة اجتماعات اللجنة التنفيذية بعد اتفاق أوسلو ولم تستأنف حضور هذه الاجتماعات إلا وقت الانتفاضة الثانية عام 2000.²⁵⁵

□ الفصائل الرئيسية في تحالف القوى الفلسطينية (التحالف):

- حماس، التي دخلت لبنان في عام 2000 من خلال تأسيس شبكة واسعة للخدمات الاجتماعية بعد أن تم إغلاق مكاتبها في الأردن. وقامت الجماعة الإسلامية خلال التسعينيات بالتمهيد لقدم حماس من خلال تشكيل شبكات اجتماعية وتعليمية في المخيمات.
- الجهاد الإسلامي، والتي لها حضور بسيط فقط في لبنان، وتشارك هي أيضاً في النشاطات الاجتماعية والخيرية.²⁵⁶
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، التي تستقر قيادتها في دمشق، ولديها ثلاث قواعد عسكرية تحت الأرض في لبنان خارج المخيمات (في الناعمة وجنوب بيروت وادي البقاع). وتضم هذه القواعد أسلحة ثقيلة ومتوسطة، وتقدم التدريب للمقاتلين في البقاع.
- فتح الانتفاضة، وهي جماعة انشقت عن فتح في عام 1983. وكما هي الحال في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة فإن قيادتها في دمشق، وتحفظ بقواعد عسكرية من أجل تخزين الأسلحة وتدريب المقاتلين.
- الصاعقة، التي أسسها حزب البعث السوري في عام 1966.

□ القوى الإسلامية ذات الميول الجهادية:

- عصابة الأنصار، التي تأسست في عام 1986، وهي تفاخر بحضور قوي لها في مخيم عين الحلوة. وكانت مسؤولة في عام 1995 عن اغتيال نزار الحلبي زعيم الأحباش وهي منظمة إسلامية اجتماعية.
- جند الشام، وهي جماعة منشقة عن عصابة الأنصار. وكان أعضاؤها متوزعين في حي تعمير المجاور لعين الحلوة قبل الانتقال إلى منطقة الطوارئ في المخيم.²⁵⁷
- الحركة الإسلامية المجاهدة، وهي متركزة أيضاً في عين الحلوة.²⁵⁸
- أنصار الله، التي تأسست عام 1989 وترابطها علاقات وثيقة مع حزب الله.²⁵⁹
- عصابة النور، وهي جماعة نشأت عن عصابة الأنصار، وهي أيضاً متواجدة في عين الحلوة من خلال المنظمات الرئيسية هناك.²⁶⁰

²⁵²خافيير بارون، "الفلسطينيون، شعب" (باريس، 1977).

²⁵³المرجع السابق.

²⁵⁴مقابلة مجموعة الأزمات، أبو جابر مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في نهر الباراد، 17 شباط/فبراير 2009.

²⁵⁵المرجع السابق.

²⁵⁶أنظر آر نادسون، المصدر المذكور سابقاً.

²⁵⁷أنظر مصطفى العرب، "تنظيمات مخيمات لبنان المتشددة (3)"، الموقع العربي لمحطة سي إن إن http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/

7/20/sham.camp/index.html

²⁵⁸مصطفى العرب، "تنظيمات مخيمات لبنان المتشددة" (4)، نفس المصدر السابق.

²⁵⁹المصدر نفسه.

²⁶⁰المصدر نفسه.

الملحق ج

اتفاق القاهرة

[لقد كان اتفاق القاهرة في عام 1969 سرياً ولم يتم أبداً نشره بشكل رسمي. لكن نسخاً غير رسمية قد ظهرت في الصحافة واعتبرت موثوقة. وفي أيار/مايو 1987 اعتبر البرلمان اللبناني هذا الاتفاق باطلاً ولاغياً. وقد أخذت هذه النسخة من موقع القوات اللبنانية [\[http://www.lebanese-forces.org/lebanon/agreements/cairo.htm\]](http://www.lebanese-forces.org/lebanon/agreements/cairo.htm)

القرار رقم D52/2550 تاريخ: 13 أيلول/سبتمبر 1969

سري للغاية

في يوم الاثنين الثالث من تشرين الثاني/نوفمبر 1969 اجتمع كل من الوفد اللبناني برئاسة قائد الجيش الجنرال إميل البستاني، ووفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الرئيس ياسر عرفات في القاهرة وذلك بحضور وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة محمود رياض ووزير الحرب الجنرال محمد فوزي.

انسجماً مع روابط الأخوة والمصير المشترك فإن العلاقات بين لبنان والثورة الفلسطينية يجب أن تقوم دوماً على أسس من الثقة والصراحة والتعاون الإيجابي من أجل فائدة لبنان والثورة الفلسطينية وفي إطار سيادة وأمن لبنان. وقد اتفق الوفدان على المبادئ والإجراءات التالية:

أ. الوجود الفلسطيني

تم الاتفاق على إعادة تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان على الأسس التالية:

1. حق العمل والإقامة والتحرك بالنسبة إلى الفلسطينيين المقيمين حالياً في لبنان.
2. تشكيل لجان محلية مكونة من الفلسطينيين في المخيمات من أجل إدارة مصالح الفلسطينيين المقيمين في هذه المخيمات بالتعاون مع السلطات اللبنانية المحلية ضمن إطار السيادة اللبنانية.
3. تأسيس مراكز "الكفاح المسلح الفلسطيني" داخل المخيمات من أجل التعاون مع اللجان المحلية وضمان علاقات جيدة مع السلطات اللبنانية. وتقوم هذه المراكز بمهمة تنظيم وتحديد وجود الأسلحة في المخيمات ضمن إطار الأمن اللبناني ومصالح الثورة الفلسطينية.
4. يسمح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال "الكفاح المسلح" وبالتوافق مع مبادئ سيادة وأمن لبنان.

ب. نشاطات الفدائيين

تم الاتفاق على تسهيل نشاطات الفدائيين من خلال:

5. تسهيل مرور الفدائيين وتحديد نقاط مرور واستطلاع في المناطق الحدودية.
6. حماية الطريق إلى منطقة العرقوب.
7. يقوم "الكفاح المسلح" بمراقبة سلوك كل أعضاء المنظمات الموجودة فيه وضمان عدم تدخلهم في الشؤون اللبنانية.
8. تأسيس مركز قيادة مشترك بين "الكفاح المسلح" والجيش اللبناني.
9. إنهاء الحملات الإعلامية من كلا الطرفين.
10. تقوم قيادة "الكفاح المسلح" بإجراء تعداد لأعضائها في لبنان.
11. تعيين ممثلين عن "الكفاح المسلح" في مركز قيادة الجيش اللبناني للمشاركة في حل كل المسائل الطارئة الملحة.
12. دراسة توزيع كل نقاط التركيز المناسبة في المناطق الحدودية والتي يتم الاتفاق عليها مع قيادة الجيش اللبناني.
13. تنظيم دخول وخروج وتحرك أعضاء "الكفاح المسلح".

14. إزالة قاعدة عيطرون.
15. يقوم الجيش اللبناني بتسهيل عمليات مراكز العلاج الطبي والإخلاء والمؤن الخاصة بنشاطات الفدائيين.
16. الإفراج عن المعتقلين والأسلحة المصادرة.
17. من المفهوم أن السلطات اللبنانية المدنية والعسكرية ستستمر بممارسة كل امتيازاتها ومسؤولياتها في كل مناطق لبنان وفي كل الظروف.
18. يؤكد الوفد أن الكفاح المسلح الفلسطيني يصب في مصلحة لبنان والثورة الفلسطينية وكل العرب.
19. يبقى هذا الاتفاق سرياً للغاية وتتطلع عليه القيادات فقط.

التوقيع

رئيس الوفد الفلسطيني
ياسر عرفات

رئيس الوفد اللبناني
إميل بسناني